

المعراج الصوفي و القيم الإنسانية في شخصية الأمير عبد القادر  
من 1808 إلى 1883

مذكرة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية 1830 -  
1954م

إشراف الأستاذ:

- مختاري طيب



إعداد الطالبتين:

شمار عائشة

تلمساني منصورية

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الدرجة العلمية	الاساتذة
رئيسا	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	أستاذ محاضر - أ.	قوعيش شريف
مشرفا و مقررا	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	أستاذ التعليم العالي	مختاري طيب
مناقشا	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	أستاذة مساعدة - أ.	طياب مريم

## المعراج الصوفي و القيم الإنسانية في شخصية الأمير عبد القادر من 1808 إلى 1883

مذكرة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية 1830 -  
1954م

إشراف الأستاذ:

- مختاري طيب

إعداد الطالبتين:

شمار عائشة

- تلمساني منصورية

لجنة المناقشة:

الاساتذة	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
قوعيش شريف	أستاذ محاضر -أ-	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	رئيسا
مختاري طيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	مشرفا و مقررا
طياب مريم	أستاذة مساعدة -أ-	جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم	مناقشا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

حررت الوثيقة من طرف  
السيد(ة): ماضي حيدة

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -  
كلية العلوم الاجتماعية  
شعبة التاريخ

تصرح شرقي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية  
لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه.

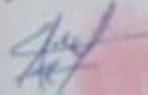
الطالب(ة): ..... شمار عايشة ..... رقم التسجيل الجامعي: 37032946  
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 420451931 والصادرة بتاريخ: 24/03/05  
عن ..... المسجل بكلية العلوم الاجتماعية / قسم: العلوم الانسانية / شعبة التاريخ  
والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان:

المصالح الصوفية والقيم الانسانية في شخصية الامير  
عبد القادر مع 1808 - 1838

أصرح بشرقي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية  
المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: .....

إمضاء المعني





مطبعة مستغانم  
نظرا للتخصيص المادي لاسماء

25 JUN 2025

السيد(ة): ..... 16 .....

\* ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 الذي حدد النوازل المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافئتها

الجامعة الجزائرية  
مستغانم  
مكتبة  
التاريخ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -  
كلية العلوم الاجتماعية  
شعبة التاريخ

رقم التسجيل الجامعي: 202037031927  
رقم التسجيل الجامعي: 202037031927

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية  
لإنجاز البحث


أنا الممضي أدناه،

الطالب (ة): أحمد بن باديس ..... رقم التسجيل الجامعي: 202037031927  
الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 402598557 والصادرة بتاريخ: 2008-10-10  
عن جامعة عبد الحميد بن باديس المسجل بكلية العلوم الاجتماعية / قسم: العلوم الانسانية / شعبة التاريخ  
والمكلف بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان:

الصراع الصوفي والقيم الأخلاقية في شخصيات الأمير عبد القادر  
1838 - 1858

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية  
المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: .....

إمضاء المعني  




بلدية مستغانم  
نظرا للتصديق الثاني لاسماء

25 JUN 2025

السيد (ة): أحمد بن باديس

\* ملحق القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في 28 جويلية 2016 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها.

المنشأ بجمهورية الجزائر  
المنشأ بجمهورية الجزائر



قال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ

قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة

الأحزاب، الآية 23]

## إهداء

إلى من زرعوا في قلبي بذور المحبة والعزيمة، إلى من كانت دعواتهم سرًّا في كل نجاح، وإلى من تعجز الكلمات عن وفائهم حقهم.

إلى أمي العزيزة أم عائشة رحمها الله وغمدها برحمته الواسعة ، نبع الحنان وصوت الدعاء الذي يرافقني في كل وقت، إلى من سهرت الليالي لأجل راحتي، فكانت لي وطنًا يحتويني في حزني وفرحي، اللهم خذ لها إهدائي هذا وأنها بنجاحي وتقدمي واجعله صدقة جارية لها

وإلى أبي الغالي، سندي وقوتي، صاحب اليد التي أمسكت بيدي لأمشي على دروب الحياة بثقة، والذي علّمني الصبر والكرامة والاعتماد على النفس.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء، أنتم السند والعون والرفقة التي لا تُعوّض، كنتم ولا زلتُم جزءًا لا يتجزأ من نجاحي.

إليكم أهدي ثمره هذا العمل، وأسأل الله أن أكون دائمًا عند حسن ظنكم بي، فأنتم نوري الذي أضاء لي الطريق.

وإلى كل من مدّ لنا يد العون، بكلمة طيبة أو نصيحة مخلصّة أو توجيه صادق، من أساتذة كرام، أو موظفين في الجامعة، أو حتى غرباء قدّر الله لهم أن يكونوا سببًا في تيسير هذا العمل.

## إهداء

إلى من كانت الجنة تحت قدميها، إلى أمي الحبيبة أم منصورية، نبع الحنان، ورفيقة الدعاء في كل لحظة، إلى من جبرت ضعفي وسهرت على راحتي، وبذلت من عمرها لأجل أن أرتقي، وإلى أبي العزيز، من غرس في نفسي قيم الرجولة والثبات، وكان قدوتي في الصبر والعزيمة، من علمني أن المجد لا يُنال إلا بالتعب، وأن الكرامة أثنى ما يملك الإنسان، وإلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا لي دومًا سندًا في الحياة، ورفاقًا في كل محطة من محطات الدرب، إلى من أجد معهم المعنى الحقيقي للعائلة، وأقتبس من حبهم ما يعينني على الاستمرار،

إلى زملائي وزميلاتي الأعزاء بجامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم، الذين كانوا خير رفقة في مسيرتي الجامعية، وإلى من تقابلت معهم أثناء فترة الدراسة، حيث فرحنا بنجاحاتنا الصغيرة والكبيرة، لقد كنتم لي إخوة في العلم، وأصدقاء في الحياة، فشكرًا لكل لحظة صدق ووقفة دعم ومساندة.

أهديكم هذا الجهد المتواضع، داعيًا الله أن يكتب لكم أجر المعروف، ويجزيكم عني خير الجزاء، وأن أكون عند حسن ظنكم دومًا، فبكم بعد الله كان لهذا العمل أن يكتمل.

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تيسر الأمور وتُذلل الصعوبات، الحمد له سبحانه على ما وهب من توفيق، وما أنعم به من صبر، وما يسر من علم وفهم، وصلاةً وسلامًا دائمين على خير الخلق محمد بن عبد الله، النبي الأمي الذي علّم البشرية مكارم الأخلاق، ووجهها إلى العلم والعمل، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي السابق قوعيش الشريف وإلى أستاذي المشرف مختاري طيب.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم معنا في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

يُعدّ الأمير عبد القادر الجزائري (1808-1883) من أبرز الشخصيات التي طبعت التاريخ الجزائري الحديث، ليس فقط باعتباره قائداً سياسياً وعسكرياً قاوم الاستعمار الفرنسي بشجاعة نادرة، بل أيضاً بصفته مفكراً إنسانياً متأثراً بالمنهج الصوفي الذي شكّل جزءاً أساسياً من رؤيته للعالم. لقد امتزج في شخصية الأمير البعد الجهادي بالبعد الروحي، مما أفرز مشروعاً حضارياً متكامل الأبعاد يستند إلى القيم الإسلامية الأصيلة، ويُرهن على التسامح، والعدل، والرحمة، كمبادئ ناظمة للفعل الفردي والجماعي. وتكمن أهمية هذا البحث في سعيه إلى تجاوز النظرة التقليدية التي اختزلت شخصية الأمير عبد القادر في بعدها العسكري، نحو قراءة أعمق وأكثر شمولاً تستجلي الأسس الروحية والفكرية التي وُجّهت سلوكه ومواقفه، سواء في ساحة المقاومة أو في مجالات الحوار الديني والإنساني.

ومن أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

### أولاً - دوافع موضوعية:

- قلة الأبحاث التي تربط بين التصوف والممارسة الإنسانية في شخصية الأمير عبد القادر.

- إبراز الأبعاد الأخلاقية والروحية في مقاومة الاستعمار.

- مساهمة هذا الموضوع في فهم جديد للتاريخ الوطني من خلال بعد إنساني.

### ثانياً - دوافع ذاتية:

- الإعجاب الشخصي بتجربة الأمير عبد القادر الفكرية والأخلاقية.

-الإيمان بأهمية استحضار النماذج التاريخية الأخلاقية في زمن تتراجع فيه القيم.

إشكالية البحث:

كيف أسهم المعراج الصوفي في بناء القيم الإنسانية في شخصية الأمير عبد القادر بين سنتي 1808 و1883؟

الأسئلة الفرعية:

- ما هي الملامح العامة للتصوف في فكر الأمير عبد القادر؟

- كيف عبّر الأمير عن تجربته الروحية في كتاباته وسلوكياته؟

- ما هي القيم الإنسانية التي ميّزت مواقفه، وكيف ارتبطت بتجربته الصوفية؟

- كيف تعامل الأمير مع الآخر المختلف دينياً وثقافياً من منطلق صوفي؟

- ما أثر التصوف في بناء رؤيته للمقاومة والعدالة والتسامح؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وضعنا خطة بحث مكونة من مدخل وثلاثة فصول حيث تناولنا في

المدخل: جوانب من حياة الأمير عبد القادر (النشأة، التعليم، التأثر بالتصوف، المقاومة)، وفي الفصل

الأول تناولنا مفهوم التصوف عند الأمير، المقامات الروحية في كتاب المواقف، رمزية المعراج وأثر التجربة

الصوفية على السلوك، أما الفصل الثاني تناولنا فيه القيم الإنسانية في فكر الأمير (الحرية، العدل،

التعددية، معاملة الأسرى، حماية المسيحيين)، والفصل الثالث والأخير تناولنا فيه علاقة التصوف بتعزيز

القيم الإنسانية، التسامح، العدل، وتمازج البعد الديني بالوطني.

كما اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال تتبع سيرة الأمير عبد القادر، وتحليل كتاباته خاصة كتاب المواقف، وربط تلك النصوص بالمواقف العملية التي جسّد فيها القيم الصوفية والإنسانية، كما تمّ توظيف أدوات التحليل النصي والمقارنة لاستخلاص المفاهيم والمضامين الأخلاقية من السياقات التاريخية والسلوكية.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أبرزها:

\* أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية.

\* سليم شاكر، رؤية الأمير عبد القادر لبناء الدولة الجزائرية الحديثة.

\* الأمير عبد القادر، كتاب المواقف في التصوف والإرشاد.

### الدراسات السابقة:

- دراسة "عبد القادر كيرمونا: الأمير عبد القادر الصوفي والإنساني"، وهي دراسة تتناول جوانب من تصوف الأمير، لكنها تركز على الفترة المتأخرة من حياته.

- دراسة "بشير بومعزة: البعد الإنساني في مقاومة الأمير عبد القادر"، وهي دراسة مهمة لكنها لم تعالج العلاقة بين البعد الصوفي والقيم الإنسانية بشكل مترابط.

كما واجهنا عدة صعوبات من بينها: ضيق الوقت اللازم للإحاطة بكامل المشروع الفكري للأمير، قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تربط بوضوح بين البعدين الصوفي والإنساني اللغة الرمزية لكتاب

المواقف، مما تطلب جهداً في التأويل والتحليل، التشتت الزمني للمصادر، ما جعل جمع المادة يتطلب وقتاً مضاعفاً وجهداً مضنياً.

ومن هذا المنطلق يُمكن القول إن دراسة شخصية الأمير عبد القادر من خلال العلاقة بين المعراج الصوفي والقيم الإنسانية تمثل مقارنة علمية أصيلة تسعى إلى كشف العمق الأخلاقي والفكري في مشروعه الجهادي، وهي محاولة لإبراز كيف أن البعد الروحي لا يُقصي الفعل الواقعي، بل يؤسسه ويوجهه. لذا فإن هذا البحث يسعى لفتح آفاق جديدة في قراءة التاريخ الجزائري بمنهج جامع بين الدين والإنسان، بين الفكرة والممارسة.

وفي النهاية نحمد الله تعالى على توفيقه وإتمام هذا العمل، والشكر موصول إلى أستاذنا المؤطر الكريم، وإلى كل من مدّ لنا يد العون والدعم في مختلف مراحل هذا البحث.

## مدخل: الأمير عبد القادر ( حياته وشخصيته )

1 - نشأة الأمير عبد القادر

2- تعليمه وتأثره بالتصوف وعلاقته بشيوخه

2-1-تعليمه وتأثره بالتصوف:

2-2- علاقته بشيوخه وأثر ذلك على شخصيته

3 - دوره في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي

برزت في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر العديد من الشخصيات الوطنية الشريفة التي كانت تتمتع بروح وطنية عالية، مما دفعها إلى خوض المقاومات الشعبية ضد العدو الفرنسي، ومن بين هذه الشخصيات البارزة تبرز شخصية الأمير عبد القادر، التي سنتناولها في هذا تمهيد من حيث نشأته وتعليمه وتأثره بالتصوف وعلاقته بشيوخه وأثر ذلك على شخصيته.

### 1- نشأة الأمير عبد القادر:

عاشت أسرة محيي الدين في قرية على الضفة اليسرى لوادي الحمام، التي تبعد عشرين كيلومترًا غربي مدينة معسكر، وتُسمى القيطنة، وهي من الأسر المعروفة في المنطقة، وكانت مقصدًا للعلماء والمرابطين والشخصيات المعروفة.

كان محيي الدين من المرابطين الذين ينحدرون من صلب إدريس بن عبد الله الحسني، وقد تزوج بأربع نساء، من بينهن الزهراء التي أنجبت الأمير عبد القادر.<sup>1</sup>

نسبه هو: محيي الدين بن مصطفى بن محمد، بن مختار، بن عبد القادر، بن أحمد بن مختار، بن عبد القادر، بن أحمد المشهور بابن خدة، بن محمد، بن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار، بن محمد، بن مسعود، بن طاووس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثني، بن الحسن

<sup>1</sup> إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري (مؤسس دولة وقائد جيش)، وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص 5، 6.

السبط، بن علي بن أبي طالب، وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شرفه الله وكرمه وعظمه.<sup>1</sup>

وُلد الأمير عبد القادر بن محيي الدين يوم الجمعة في الثالث والعشرين من رجب سنة ألف ومائتين واثنين وعشرين هجرية (1222هـ)، الموافق لسنة ألف وثمانمائة وسبعة ميلادية (1807م)، إلا أن بعض المصادر تخالف هذا التاريخ وتعتبر ولادته سنة 1215هـ الموافق لـ 1800م<sup>2</sup>، أما مكان ولادته فكان في قرية القيطنة<sup>3</sup>.

عاش الأمير عبد القادر طفولته في بيئة علمية، حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتعلم مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي، وكان موضع اهتمام وعناية أبيه محيي الدين، الذي ساهم في صقل شخصيته وسلك به طريق التصوف.<sup>4</sup> وما إن بلغ الخامسة من عمره، حتى كان يجيد القراءة والكتابة<sup>5</sup>، وقد تولى تعليمه الشيخ أحمد بن الطاهر قاضي أرزيو، فعلمه جملة من العلوم.

لم يكتفِ الأمير عبد القادر بتلقي العلوم الدينية والدنيوية، بل اهتم أيضًا بالفروسية وركوب الخيل وفنون القتال، فتفوق في ذلك على غيره من الشباب، فكان مثال الفارس الشجاع. وقد ذكر بيرنت: «إن

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، المطبعة التجارية الإسكندرية، 1903م، ص 297.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 304.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 304.

<sup>4</sup> إسماعيل العربي، مرجع سبق ذكره، ص 6

<sup>5</sup> أحمد كمال الجزائر، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، تق: محمد زكي إبراهيم، ط1، 1417هـ-1997م، ص 19.

الأمير قد جمع بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح، وكان يتحلّى بالعدل على قدر ما تسمح به مواقفه وتطلعاته».<sup>1</sup>

نستخلص مما سبق ذكره أن الأمير عبد القادر نشأ في بيئة دينية وعلمية أصيلة، جمعت بين النسب الشريف والتربية الصوفية.

## 2-تعليمه وتأثره بالتصوف وعلاقته بشيوخه

### 2-1-تعليمه وتأثره بالتصوف:

#### أولاً: تعليمه

بدأ الأمير عبد القادر دراسته في مدرسة والده بقرية القيطنة قرب وهران، وهو في الرابعة من عمره<sup>2</sup>، وما إن بلغ الثانية عشرة حتى أتم حفظ القرآن الكريم وتمكن من الحديث النبوي وأصول الشريعة، وبعد سنتين فقط، أصبح قادرًا على إلقاء الدروس في جامع أسرته في مختلف المواد الفقهية.<sup>3</sup>

ثم انتقل إلى أرزيو ليتتلمذ على يد قاضيها الشيخ أحمد بن الطاهر، قبل أن يسافر إلى وهران سنة 1236هـ<sup>4</sup>، حيث أكمل دراسته في الأدب والفقه والتفسير والنحو،<sup>5</sup> فالتحق بمدرسة أحمد بن خوجة

<sup>1</sup> يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: د. أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر 1992م، ص 73.

<sup>2</sup> عبد القادر بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م، ص 13.

<sup>3</sup> شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، ص 39.

<sup>4</sup> عبد القادر بن السبع، مرجع سبق ذكره، ص 155.

<sup>5</sup> ناصر الدين سعيدوني، جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 154.

المخصصة لأبناء الأعيان، وبقي فيها نحو سنة،<sup>1</sup> وكان يتلقى إلى جانب تعليمه العلمي تدريبات بدنية مكثفة، فقد عُرف بمهارته العالية في الفروسية، ولم يكن له نظير في رمي العصا.

وفي أثناء رحلة الحج، ازداد شغفه بالعلم، فبدأ في مطالعة كتب العلم والفلسفة، ودرس رسائل أفلاطون، وفيثاغورس، وأرسطو، وتعمق في الفقه، والحديث، والجغرافيا، والفلك، والتاريخ.<sup>2</sup>

وفي دمشق، طابت له الحياة، وأقام فيها مجالس العلم، وألف الكتب، وكان من أبرز أعماله كتاب "المواقف"، الذي نشأ من تلك المجالس العلمية وحلقات الذكر. تلقى الأمير عبد القادر القرآن وعلوم الدين واللغة، وكان والده أبرز معلميه في صغره، وقد درّسه بنفسه العلوم الإسلامية، ثم استمر في تلقي العلم على يد مشايخ آخرين، حيث امتدت سلسلة شيوخه إلى وهران، وهناك تلقى علم النحو.<sup>3</sup>

برع الأمير في علوم اللغة والدين، وحفظ قدرًا كبيرًا من صحيح البخاري، كما وهبه الله موهبة ربانية في الفصاحة والبيان، فغدا منذ صباه أحد روافد التراث العربي، الذي حفظه ديوان العرب جيلاً بعد جيل.<sup>4</sup> وقد درس مجموعة متنوعة من العلوم، منها الفلسفة، والفقه، والعقيدة، فدرس الألفية في النحو، والسنوسية، والعقائد النسفية في التوحيد، وكتاب الإتيقان في علوم القرآن.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد كمال الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص 19.

<sup>2</sup> جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج 1، د، ط، هنداي، المملكة المتحدة، 2011م، ص 197-198.

<sup>3</sup> أحمد درويش، في صحبة الأمير بن أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، منتدى سور الأذكية، 2000م، ص 147.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 148.

<sup>5</sup> محمد عثمان، الأمير عبد القادر الجزائري، الدار المصرية للكتاب، ص 12.

وفي هذه الزاوية العلمية أجرى الأمير عبد القادر دراسته الأولى، وقد استمد مشاعره الدينية من والده، الذي كان دائم التوجيه والإرشاد له.<sup>1</sup>

نستخلص أن الأمير عبد القادر نشأ على حب العلم منذ نعومة أظفاره، فنهل من ينابيع الدين واللغة والفلسفة حتى غدا من كبار العلماء في عصره

### ثانيا: تأثيره بالتصوف

لقد كان للتصوف أثر بالغ في تشكيل شخصية الأمير عبد القادر الفكرية والروحية، فقد نشأ في بيئة دينية صوفية، وكان والده محيي الدين من كبار أتباع الطريقة القادرية، وقد ورث عنه الميل إلى الزهد والتأمل والاهتمام بالسلوك الروحي، منذ نعومة أظفاره،<sup>2</sup> تلقى الأمير تعاليم التصوف على يد والده أولاً، ثم على يد شيوخ آخرين خلال رحلاته العلمية، وخاصة أثناء مقامه بدمشق، حيث كان على صلة بعدد من المتصوفة والعلماء، وقد انعكست هذه الخلفية الصوفية في كتاباته ومواقفه السياسية، حيث عُرف بتسامحه وعدله وسمو أخلاقه، وكان يرى الجهاد لا يتناقض مع المحبة والتسامي الروحي.<sup>3</sup> وقد تجلت روح التصوف عنده في مؤلفه الشهير "كتاب المواقف"، الذي يُعد من أهم الكتب الفكرية

<sup>1</sup> كريمة حرشوش، جرائم الجنيرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلتل أديباتهم، 1832-1847 نماذج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، وعلم الآثار، معهد العلوم الإنسانية والحضارة، 2009م، ص 17.

<sup>2</sup> د. ودان بوغفالة، الأمير عبد القادر: عبقريته في الزمان والمكان، مخبر البحوث الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ص 15.

<sup>3</sup> صالح العاتي، نبيل مزوار، مجلة الاستقلال، مجلد 14، عدد 1، 2022م، ص 45.

الصوفية في القرن التاسع عشر، إذ جمع فيه بين التجربة الروحية والتأمل الفلسفي، ليُظهر صورة الأمير ليس فقط كمجاهد وقائد عسكري، بل أيضًا كعالم عارف وصوفي متبحر.<sup>1</sup>

## 2-2- علاقته بشيوخه وأثر ذلك على شخصيته:

شكّلت العلاقة التي ربطت الأمير عبد القادر بشيوخه نقطة محورية في تكوينه المعرفي والروحي والقيادي، حيث نشأ منذ طفولته في بيئة علمية ودينية عريقة، وكان والده محيي الدين أول وأهم شيوخه، وهو رجل دين معروف، وزعيم صوفي من أتباع الطريقة القادرية، الذي حرص على تربية ابنه تربية علمية وروحية متوازنة، فغرس فيه القيم الإسلامية العليا، وحثّه على طلب العلم والارتباط بالقرآن والسنة،<sup>2</sup> كما عمّق لديه الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة، ولعلّ هذا التأثير المبكر هو ما شكّل البذرة الأولى في مسار الأمير نحو القيادة والتميز.

وقد تلقى الأمير عبد القادر على يد والده أولى دروسه في الفقه والنحو والتفسير وعلوم الحديث، وكان محيي الدين يشرف بنفسه على حلقاته التعليمية ويصطحبه في المجالس العلمية، مما نمّى عند الأمير الجرأة في التفكير والقدرة على الخطاب، فغدا في سنّ مبكرة قادرًا على مناقشة كبار العلماء في أمور الدين والدنيا، كما تعهده والده بالتربية الروحية الصوفية، فجعله يسلك طريق السلوك عبر الأوراد والمجاهدات،

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 46.

<sup>2</sup> ذكرى العاقل وتنبية الغافل، الأمير عبد القادر، تحقيق: محمود حقي، دار البقعة العربية، بيروت، 1966م، ص 43.

وكان يأخذه معه إلى الخلوات والزوايا،<sup>1</sup> وهو ما أثمر شخصية متزنة تمزج بين العقلانية الدينية والروحانية الزاهدة.

ولم تتوقف علاقات الأمير عند والده، بل انفتحت على عدد كبير من العلماء والفقهاء، سواء في معسكر، أو وهران، أو أثناء رحلاته العلمية، خاصة إلى أرزيو ووهران ودمشق، من أبرز شيوخه في مراحل تعليمه المبكرة الشيخ أحمد بن الطاهر قاضي أرزيو، الذي عُرف بصرامته العلمية وأسلوبه المتزن في تدريس العلوم الشرعية، وقد درس عليه الأمير أصول الفقه والبلاغة واللغة.<sup>2</sup> وكان لهذا الشيخ الأثر البالغ في ترسيخ المنهج العقلي والتحليلي عند الأمير، فظهر ذلك لاحقاً في طريقته في مناقشة المسائل العلمية والسياسية، حيث كان يجمع بين الدقة والعمق.

وفي مدينة وهران، تتلمذ الأمير على يد الشيخ أحمد بن خوجة، وهو من كبار علماء الجزائر، وكان يرأس مدرسة خاصة بأبناء الأعيان، وهناك تلقى علوم النحو والفقه والمنطق، وأبدى نبوغاً فريداً جعله محل إعجاب زملائه وشيوخه على السواء<sup>3</sup>، وقد حرص هذا الشيخ على صقل شخصية الأمير من خلال إشراكه في المناقشات العلمية، وتحفيزه على الاستقلال في الرأي دون الخروج عن قواعد الشريعة، مما عزز من قدرته على القيادة والحكم لاحقاً.

كما التقى الأمير في المشرق خصوصاً خلال رحلته إلى الحجاز والشام، بكبار العلماء، وتأثر بشكل خاص بشيوخ الطرق الصوفية، الذين عمقوا لديه الارتباط بالفكر الصوفي المعتدل، ومن بينهم شيوخ في

<sup>1</sup> بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980م، ص 93.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 93.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 94.

دمشق ممن بايعوه على الطريقة القادرية، كما زكّوه كخليفة روحي وعلمي،<sup>1</sup> وقد ظهر هذا الأثر بجلاء في كتاباته وخاصة في "كتاب المواقف"، الذي يجمع بين التأمل الفلسفي والصوفي، حيث يتحدث فيه الأمير عن مفاهيم الوحدة الوجودية، ومقام العارف، والحقيقة المحمدية، بلغة رفيعة وأسلوب فلسفي عميق.

إن علاقة الأمير عبد القادر بشيوخه لم تكن علاقة تلميذ بأستاذ فحسب، بل كانت علاقة قائمة على الاحترام المتبادل والمشاركة في الهمّ الديني والوطني، إذ كان بعض شيوخه أيضاً من المناضلين ضد الاحتلال الفرنسي، وقد ورثوه هذا الحس الوطني العميق، وأوصوه بالدفاع عن الإسلام والأرض والكرامة.<sup>2</sup> ولعلّ هذا ما يفسّر الجمع بين البعد الجهادي والبعد الروحي في شخصية الأمير، فهو لم يكن مجاهدًا بالسيف فقط، بل كان مجاهدًا بالقلم والفكر والموقف.

### 3- دوره في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي:

بعد نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر وسقوط العاصمة، تخيل الإستعمار الفرنسي انه قد بسط سيطرته على كل الجزائر وبمجرد سقوط العاصمة نظم الجزائريون مقاومات مسلحة كانت بدايتها في ضواحي العاصمة لتشمل كل القطر الجزائري، ولم يمنع ولاء بعض الأعيان وخضوعهم كما كان في النتيجة التيطري و مليانة وتلمسان .... من ظهور الجهاد ضد الإستعمار وقد ظهر قادة أفاضال الأمير

<sup>1</sup> يحي بوعزيز والأمير عبد القادر، رائد الكفاح الجزائري، دار العربي للكتاب، دط، تونس، 1983م، ص 19.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 21.

عبد القادر وأحمد باي و المقراني وغيرهم كثيرون إستمروا في الجهاد في سبيل الوطن إلى غاية السنوات الأولى من القرن العشرين .

بدر الأمير عبد القادر من خلال المقاومة التي قام بها بداية الاحتلال بدأمن واقعة خندق النطاح الأولى بالقرب من وهران 29ماي 1832 بقيادة والده "محي الدين" كما شارك في معركة خندق النطاح الثانية والتي كانت تحت قيادته وبعد هذه الأحداث جميع أهل الحل والعقد لإختيار من يصلح الإمارة وقد وقع الإختيارعلى هذا الأخير بعد رفض والده الامارةلكبر سنه، وكان والده هو أول من بايعه ولقبه "بناصرالدين" ثم بايعه ببقية الأشراف و الأحيان وتمثلت البيعة بوادي "فريجة" في سهل غربي 27 نوفمبر 1932 وكانت من البيعة العامة 4فيفري 1833.<sup>1</sup>

وبعدها شرع الأمير في تنظيم الدولة الجزائرية الجديدة تكون مدينة معسكر هي مقرها بالإضافة إلى تنسيل الحكومة قام الأمير بتكوين مجلس الشورى يشتمل على أعضاء برئاسة "القاضي أحمد الهاشمي" وقد قام التنظيم السياسي لدولة الأمير على أسس فدرالية تتمثل في وجود 8 مقاطعات برأس كل منها خليفة الأمير ويتواجد هؤلاء في تلمسان-معسكر-مليانة-مجانة -بسكرة- برج حمزةو المنطقة الغربية من الصحراء كما شرع في تكوين جيش وطني، انشاء المؤسسات ووضع قوانين جديدة مستمدة من الشريعة وصك العملة باسمه، وقد جددت الأهداف التي يرمي إليها من خلال تنظيم المقاومة ، وتمثلت فيها يلي:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بن عبد القادر محمد: تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر، ج1، دار اليقضة العربية الجزائر 1954ص156.

<sup>2</sup> بوحوش، عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1962م، ص 109

\*\*تحقيق الأمن والقضاء على الخونة والمأجورين

\*\*تحويل القبائل حول مبدأ الجهاد

\*\*مقاومة الإحتلال الفرنسي بشى الطرق والوسائل

ارغام الفرنسيين ودفعهم للإعتراف بالجزائر دولة مستقلة ويعين الامير عبدالقادر أميراً لها.

وقد بدأت المواجهات بين الامير والإدارة الفرنسية ومحاصدته لوهران ومستغانم مما دفع بالفرنسيين إلى

الاعتصام داخل القلاع والحصون وبعدفشل قواته في افشال الحصار وعزل وحبس ديميشال الذي فشل

بدوره في التصدي لأمير فطالب اللح وعقد هدنة مع الأمير 26 فيفري 1834 بنود هذه المعاهدة

6 بسوء وومن بين ما جاء في نص المعاهدة:

\*وقف المعارك بين الطرفين ةتبادل الأسرى

\*احترام الفرنسيين المسلمين ومناطق سكانهم

\*لايدخل أي طرف آخر إلا بإذن من قنصلية لدى الطرف الطرف الآخر

\*يحق الأمير شراء الأسلحة وكل ما يحتاج إليه من المواد الحربية

\*أن يكون ميناء أرزيو تحت سلطة الأمير

\*أن يبقى الفرنسيين في وهران ومستغانم ويحترموا المسلمين.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> شارل هري شرشل :حياة الأمير عبد القادر، ش.و.ن.ت الجزائر 1982، ص110

\*عزل ميشيل من قيادة وهران 15 جانفي 1835 وعين تريزيل خلفا له في 20 جانفي وهذا بعد عملية تحقق قامت بها الإدارة الفرنسية بعد أن شكت في ولاء ديمشيل، وفض تريزيل المعاهدة المبرمة وألب قبائل الدوائر والزمالة على الأمير ،فتجدد القتال في 2 جويلية 1836 ،ومنى نريزيل بهزيمة كبيرة في معركة المقطع<sup>1</sup> ونتيجة للصدمة التي تلقاها الفرنسيون في المعركة قاموا بتحسين جنرال جديد وهو "الجنرال كلوزيل" والذي بدأ بحملة كبيرة على معسكر لكن الأمير انسحب منها كاجراء تكتيكي في سنة 1836 تمكن كلوزيل من السيطرة على مدينة تلمسان ورغم تجنيد قوات كبيرة في مواجهة الأمير أنه استطاع ضرب حصار كبير في المدينة وألحق خسائر كبيرة بالقوات الفرنسية في واد الثافنة وقد تواصلت المواجهات بين الطرفين مما أدى إلى ميل الطرفين في عقد الصلح جديد فتوصل الطرفان إلى عقد معاهدة التافنة ومن بين بنودها.

\*اعتراف الأمير لفرنسا بسيادتها على الجزائر العاصمة و وهران والمناطق المجاورة للمدينة.

\*اعتراف فرنسا بامارة الأمير عبد القادر على اقليمهم وهران فيما عدا عاصمته وكذلك اقليم التيطري.

بدفع الأمير لفرنسا كمية من الحبوب وأعداد من الابقار.<sup>2</sup>

\*قيام المارشال "فالي" إلى طرف معاهدة التافنة بحضور قواته الأراضي التابعة للأمير وقوات النكسات

خاصة بعد أن إنتهج الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة وبدأ من الكفة تميل لصالح السلطة الفرنسية

بعد استقلالها عن عاصمة الأمير تاقدامت 1841 ثم سقوط الزمالة عاصمة الأمير سنة 1843

<sup>1</sup> بو حوش: التاريخ السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 93.

<sup>2</sup> شارل هري شرشل، مرجع سبق ذكره ، ص 111.

،وعلى اثر ذلك اتجه الأمير إلى المغرب في أكتوبر 1843 وقد ناصره السلطان في أول الأمر إلا أنه اضطر للتخلي عنه نتيجة دخول القوات الفرنسية إلى الحدود المغرب وما ريس ضغوط على المغرب مما اضطر الأمير للدخول إلى الجزائر مرة أخرى 1245 محاولا تنظيم الثورة من جديد وفي 23 ديسمبر 1847 سلم الأمير عبد القادر نفسه بعد قبول القائد لاموسيل بشرطة ونقله إلى مدينة طولون مكان الأمير يأهل في الذهاب إلى الإسكندرية أو أو عنا إلى أن الجانب الفرنسي ثم يلتزم بوعوده وتم نقله إلى أميواز 16 أكتوبر 1852.<sup>1</sup>

يتجلى من خلال مقاومة الأمير عبد القادر مدى وعيه السياسي والديني في تنظيم صفوف الشعب لمواجهة الاستعمار، فقد جمع بين الجهاد المسلح وبناء الدولة. وقد خلد التاريخ دوره كرمز للوطنية والكرامة الجزائرية.

<sup>1</sup>بوحوش، مرجع ذكره، ص 96.

# الفصل الأول: البعد الصوفي في شخصية الأمير عبد القادر

1. التصوف وأبعاده في الفكر الإسلامي

2. التصوف كمنهج في حياة الأمير

1.2. نظرة الأمير عبد القادر للتصوف

3. تجليات البعد الصوفي في سلوك الأمير

1.3. مظاهر الزهد والتقوى في حياته

2.3. دوره في نشر الفكر الصوفي

## 1. التصوف وأبعاده في الفكر الإسلامي:

## 1.1. تعريف التصوف :

لغة :

جاءت كلمة "التصوف" من صاف الكبش يصوف صوفًا، أي صار ذا صوف. ويُقال: صاف يصيف صيفًا وصيفوفة، من الياء أيضًا. ومنه: صاف عني وجهه أي مال، و"تصوّف الرجل تصوّفًا" أي صار صوفيًا وتخلق بأخلاق الصوفية. أما "الصوفي" فعنيد أهل من هان بنفسه، باقٍ بالله تعالى، مستخلص من الطبائع، متصل بحقيقة الحقائق. وتُنسب الكلمة إلى "الصوف" أو إلى "سوفوس" باليونانية، بمعنى "الحكمة".<sup>1</sup>

والتصوف هو التخلق بالأخلاق الإلهية، وهو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا. وقد قيل: "التصوف مذهب كله جدّ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل"، وقيل هو: "تصفية القلوب من المواقف البرية"، والمتصوف: "هو الذي يجاهد لطلب درجة الصوفية"، ويُقال: المتصوف هو الذي يسعى لأن يكون صوفيًا.<sup>2</sup>

لم تعرف كلمة "التصوف" في لغتنا اشتقاقًا واحدًا يُتفق عليه، حيث كثرت الأقوال حول أصل اشتقاقها:

<sup>1</sup> بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان: لبنان، 1987 ص 445.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 525.

فقيل إن التصوف مشتق من "الصوف"، دلالة على اختيار ألبسةٍ من أبسط أنواع الثياب وأكثرها خشونة، وتجنب أي ضرب من الرفاهية أو العناية بالمظهر.

وقيل إنه مأخوذ من الكلمة اليونانية سوفيا التي تعني "الحكمة"، دلالة على أن التصوف يهدف إلى المعرفة اليقينية التي يسعى إليها الحكماء، وإن كانت وسيلته إلى ذلك هي "الكشف الباطني" أو "الإلهام" وليس الأعمال أو النظر الذهني المرتب.<sup>1</sup>

وقيل إنها مشتقة من "الصفو" أي "الصفاء".

كما قيل إنها مشتقة من "الصف"، لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله.

وهناك من يرى أنها نسبت إلى "أهل الصفة"، وهم قوم من فقراء المهاجرين والأنصار، بينت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقيمون فيها، وعُرفوا بالعبادة والتقوى.<sup>2</sup>

يتضح أن التصوف ليس مجرد مذهب فكري أو سلوك تعبدية، بل هو رحلة داخلية نحو الصفاء الروحي.

اصطلاحاً: للتصوف تعريفات كثيرة ومفاهيم عديدة، فقد أوصلها الحافظ أبو نعيم المتوفى سنة 430هـ

في كتابه: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، إلى ثمانمائة تعريف.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد حسين مهدي بجيت، الفلسفة الإنسانية بين الأصالة والتقليد، عالم الكتب الحديث للنشر، الأردن، 1، 2013م، ص 154.

<sup>2</sup> بو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط3، ص 123.

<sup>3</sup> نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429 هـ - 2008م، ص 18.

أما الشيخ زروق، فقد أحصى للتصوف حوالي ألف تعريف.<sup>1</sup>

والتصوف في معناه: "طريقة في السلوك تعتمد على التزهد والتقشف، والتخلي بالضمائر، تربية للنفس وسعيًا إلى مرتبة الفناء في الله تعالى".<sup>2</sup>

والتصوف يعني أيضًا: "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا، فترى حكمها من الظاهر في البيان، وباطنًا فترى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال".<sup>3</sup>

وقد عرّف الشيخ أبو الحسن الشاذلي التصوف تعريفًا دقيقًا موجزًا بليغًا فقال: "التصوف تدريب النفس على العبودية، وردّها لأحكام الربوبية".<sup>4</sup>

عرفه أحمد أمين بقوله: هو عبارة عن نزعة من النزعات الوجدانية ورغبة روحانية من مجموعة من الميولات الإنسانية تجاه حدث أو فعل أو شيء ما، ومن ثم يمكن الحديث عن معتزلي صوفي وأشعري صوفي وفقهيه صوفي ونصراني صوفي ومسيحي صوفي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 18 ..

<sup>2</sup> المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، ص 864.

<sup>3</sup> الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقق: محمد صادق الرحمن مرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1428 هـ - 2007م، ص 123.

<sup>4</sup> نور الهدى الكتاني، المرجع السابق ، ص 9.

<sup>5</sup> أحمد أمين، ظهر الاسلام، المجلد 2، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، لبنان، 1969م، ص 149.

والبعض الآخر ذهب إلى أن التصوف: "هو سلوك طريق الحق أولاً، مجاهدة ومكابدة، وأخرى مشاهدة

التحقق على ما هي عليه، وذلك من بعد ارتفاع حجاب الوهم المانع من ذلك".<sup>1</sup>

"أما التصوف في معجم الصوفية فيعني: "منتزعاً علمياً وعملياً نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامية من

نشأتها الأولى في صدر الإسلام، فالتصوف إذن مرآة لهذه الحياة الروحية الإسلامية التي يخضع فيها

الإنسان نفسه لألوان من رياضة النفس ومجاهدتها، وبعد قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمشاهدة،

التي تقوم أولاً على ما اقتدى فيه المسلمون الأولون بالنبي صلى الله عليه وسلم من زهد ونسك وتقوى".<sup>2</sup>

ومشاهدة الحقائق هذه "لا يصل إليها إلا الواحد بعد الواحد في الزمان المتباعد، فإذا قدر لأحد مشاهدة

حماماً ومقارنة مرامها أفتت عليه بكسرٍ لا له مادة ولا مدة، ولا هو عين معتادة، فيحصل انقلاب عينه

وجميع الأعيان في عينيه، إلى عين هذه المعشوقة، التي هي غير مرموقة، المعلومة المجهولة، المقصودة

المسلوكة، الغائبة الحاضرة، الناظرة المستورة الساترة، الجامعة للضدين، بل وجميع أنواع المناقضات والعناد،

ولا يقدر أن يعبر عنها بعبارة، ولا يشير إليها بإشارة، أكثر من قوله: إني وصلتها، وحصلتها، وبعد

التعب والعناء، ومعاناة الضنا، وجدت هذه المعشوقة أنا".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رزقي بن عمر، مدخل إلى نظرية وحدة الوجود - مفاهيم في تجربة الأمير عبد القادر الصوفية - تبر الخواطر في فكر الأمير عبد القادر، ص 163.

<sup>2</sup> ممدوح الزوي، معجم الصوفية، دار الجيل، لبنان، ط 1، 2004م، ص 84.

<sup>3</sup> الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف الروحية والفيضات السبوحية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي الدمشقي البيبوني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 28.

يتبين أن التصوف هو مسار روحي عميق يربط العبد بخالقه من خلال تهذيب النفس وتطهير القلب، بعيداً عن المظاهر والشكليات.

## 2.1. أبعاده في الفكر الإسلامي:

يُعد التصوف الإسلامي ميداناً روحياً غنياً بالأبعاد المعرفية والأخلاقية والسلوكية التي سعت إلى تهذيب النفس وتقريبها من الكمال الإنساني، حيث تتجلى هذه الأبعاد فيما يلي:

**البعد الأخلاقي السلوكي:** فيتجلى في الدعوة إلى التخلق بأخلاق الرحمة والإحسان والمراقبة، وقد فصله ابن عطاء الله السكندري في الحكم العطائية حين قال: "اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة"<sup>1</sup>. ويدعو هذا البعد إلى مراقبة النفس في حركاتها وسكناتها ويجعل من الإخلاص في العمل والنية ركيزة أساسية في سلوك العبد، وهو ما جعل التصوف أداة فعالة في إصلاح السلوك الفردي والاجتماعي على حد سواء.

**البعد الجمالي:** فيتمثل في تذوق الجمال الإلهي من خلال التعبير الأدبي والروحي، كما يظهر في أشعار جلال الدين الرومي في ديوانه المثنوي، حيث كتب: "العشق ماء الحياة، والعاشق هو الذي يشرب منه حتى يرتوي"<sup>2</sup>. فالرومي يرى في الجمال وسيلة للاتحاد بالذات الإلهية، ولهذا يُستخدم الفن الصوفي من شعر وموسيقى وسماع كوسيلة لتطهير النفس وتهذيب الوجدان.

<sup>1</sup> ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004، ص 17.

<sup>2</sup> جلال الدين الرومي، المثنوي المعنوي، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 54.

البعد الروحي التزكوي: حيث يعتبر التصوف وسيلة لتطهير النفس من الرذائل كالحسد والرياء، وهو ما أوضحه أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، إذ يقول: "فرياضة النفس وتهذيب الأخلاق أساس طريق القرب".<sup>1</sup> وقد جعل الغزالي من تزكية النفس مقدمة لا غنى عنها لطالب القرب من الله، إذ بدونها تظل العبادات جوفاء لا روح فيها، فكان تصوفه قائمًا على التوازن بين الشريعة والحقيقة.

البعد الاجتماعي الإنساني: من أبرز مكونات التصوف، حيث يربط خدمة الناس بالقرب من الله، وهو ما أبرزه عبد الرحمن بدوي في دراسته عن التصوف قائلاً: "التصوف الإسلامي لم يكن مجرد انعزال، بل كان ممارسة اجتماعية للزهد والإحسان".<sup>2</sup> فقد أسهمت الزوايا والتكايا الصوفية في بناء النسيج الاجتماعي، من خلال توفير الدعم للفقراء والمرضى، وغرس قيم التعاون والتسامح داخل المجتمع الإسلامي.

البعد المعرفي العرفاني: حيث يسعى الصوفي إلى المعرفة الذوقية والشهودية بالله، وهو ما نظر له ابن عربي في الفتوحات المكية بقوله: "العلم بالله لا يناله إلا من ذاق".<sup>3</sup> فالمعرفة عند الصوفي ليست عقلية تحليلية فحسب، بل تجربة وجودية يذوقها القلب، ويعيشها الإنسان بكليته، وهذه المعرفة لا تتأتى إلا بالتجرد من الأنا والانغماس في محبة الحق تعالى.

## 2- التصوف كمنهج في حياة الأمير:

<sup>1</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2005، ص 38.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، التيارات الصوفية في الإسلام، ط1، دار القلم، بيروت، 1993، ص 92.

<sup>3</sup> ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1985، ج1، ص 112.

التصوف ظاهرة سلوكية قديمة عند الإنسان نشأت كرد فعل لظلم الأتقياء للضعفاء وشعورهم بالحرمان والاضطهاد، حيث ارتبط التصوف بحياة الأمير عبد القادر ارتباطا وثيقا، ويعد نموذجا حيا لتجربة روحية وفكرية فريدة من نوعها في العصر الحديث، والجدير أن التجربة الصوفية ليست تجربة تأملية ولا مذهب دينيا وإنما هو خبرة داخلية يتأقلم فيها المتصوف مع عالمه الداخلي سواء الشعوري أو اللاشعوري فالعقل هو يتلقى تلك الظاهرة وكذا أوصافها والتعبير عنها وعلى هذا الأساس فان التصوف عند الأمير عبد القادر أثبت دوره في إصلاح مجتمعات بأكملها ويعد أحد العوامل التي وحدت بين الشعوب وملت شملها بعيدا عن التأثيرات والحدود والسياسة وغيرها من الحدود المختلفة.

## 1.2. نظرة الأمير عبد القادر للتصوف :

بعد الأمير عبد القادر من كبار المتصوفة وكتابه الرائد في التصوف "المواقف"، خير دليل على ذلك. فالأمير سليل زاوية صوفية، وهو شيخ من شيوخ التصوف، وردت الطريقة "القادرية" عن أبيه، وكان حظ الأمير أن والده وجدده عالمان، فأنشأته عائلة علمية، أبوه "محي الدين بن مصطفى" كان شيخ زاوية وطريقة.<sup>1</sup>

فشخصية والده المعروف بالورع والتقوى والتصوف، لعبت دوراً قوياً في تشكيل ملامح شخصيته، ووجهته نحو سلوك سبيل التصوف "كأن الأمير يميل إلى التصوف من صغره، ولا ننسى أن أباه محيي

<sup>1</sup> بومدين بوزيد، الأمير عبد القادر الجزائري وهزيمة الحروب وانتصار المعرفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص 127.

الدين الذي كان صوفيًا كبيرًا من أبناء القادة كان ذا تأثير عليه في رؤيته الدينية، وكان أكبر موجه له في حياته الروحية الصوفية.<sup>1</sup>

ولما سافر إلى المشرق واستقر هنالك، التقى برجال الصوفية بعديدهم، واعتنق بعضهم، وأخذ عن مشايخ وعلماء من المشرق والمغرب، الذين انضافوا إلى الأمير "ارتباطه القوي بالقضاء الذي كان يعيش فيه، سواء كان ذلك القضاء مشكلاً من أفكار ورؤى وقضايا، أو كان مرتبطاً بأشخاص، ومن المعلوم أن من أهم القضايا المعرفية والفكرية على عنصريه قضية التصوف، وما يدور في فلكها من أسئلة وجدالوما كان يتكيفها منطلقاته، حول الاجتهاد في المعرفة إلحاحاً لمتطلبات الراغب في الوصول إلى إحدى مراتب التصوف ثم حول علاقة التصوف بالسلطة وتأثيره أو تأثره بها."<sup>2</sup>

والتصوف "كفكر وعبادة وجهاد ومجاهد، وككلمة سواء أكانت شعراً أو نثراً فهو فكر قدم لتراثنا الإسلامي، وحضارتنا المجيدة.

فالتصوف يرتبط بالدين الإسلامي، ويأخذ الكثير من أدبياته ومعارفه من العلوم الدينية والشرعية، كما نجد له على مر العصور وتباين الحقوالدهور آراء وأفكاراً فلسفية، سواء أكانت مستقاة نابعة من ثقافتنا ومفاهيمها الصحيحة، أو أفكاراً دخيلة فيها ما فيها من الأفكار التي يجمعها العقل، وينفر منها الدين، ويستعيها الذوق السليم.

<sup>1</sup>نوار خير الدين، الأمير عبد القادر (حياته، أدبه، 1807-1883)، ضمن: مجلة آمال، ع4، ج2، جويلية 1970، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983-ص15.

<sup>2</sup>محمد بويريج، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، منشورات دار القدس العربي، ط3، 2006م، ص99.

"لقد كان للأمير عبد القادر في التصوف باعٌ طويل، فلم يكن يكتفي فيه نظرًا حتى يمارسه عملاً، ولم يحنّ إليه شوقاً حتى يعرفه ذوقاً، والتصوف عنده ظاهرة باطنية، أي طهارة القلب والنفس والضمير، وهو أيضاً طهارة ظاهرية".

ويعتبر الأمير عبد القادر التصوف "جهاد النفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء آخر من غير سبيل الله"<sup>1</sup>. ويوجه الأمير إلى الصوفي الذي "يجاهد نفسه بالرياضات الشاقة لأجل طلب جاهٍ عند الملوك، أو لصرف وجوه العامة إليه، أو حصول غنى، أو نحو ذلك من الحظوظ النفسية"<sup>2</sup>، ويحذر الأمير مرةً ثانية من الذين تكون عبادتهم "مشوبة بأغراض نفسية وحظوظ شهوانية"<sup>3</sup>.

"كان الأمير عبد القادر ذا نزعة صوفية رائدة، كثير الإيمان بأقوالهم، وهو القائل: "مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة". وقد تناول الأمير عبد القادر التصوف رغم تباعد صور الفكر الصوفي بنوع من العقلانية المشفوعة بحب الله تعالى، كما ناقش إشكالية التصوف أيضاً من زاوية التفكير فيها على أساس المعيار الحسي الذي يعطي النفس حقها من السؤال، والعقل إلا رادعاً إذا خالف أسسه التي ميزها الشرع"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، منشورات دار النهضة العربية، دمشق، 1967، ص 141.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 35.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 46.

<sup>4</sup> محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 52.

والصوفية عنده هم الذين يكونون مع الله تعالى حاضرين في جميع أحوالهم وتصرفاتهم، باعتبارهم "سادات طوائف المسلمين"<sup>1</sup>.

وفي ديوان الأمير نجد الكثير من القصائد والأبيات الشعرية الصوفية الطابع، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على شخصية الأمير الصوفية التي غلبت على شخصيته الشعرية.

يتضح أن المتصوف هو سالك لطريق شاق يتطلب مجاهدة النفس وارتقاءً روحيًا متدرجًا، يكشف فيه عن أسرار الوجود والحقيقة الإلهية.

### 3. تجليات البعد الصوفي في سلوك الأمير:

#### 1.3. مظاهر الزهد والتقوى في حياته :

يُعد الأمير عبد القادر الجزائري من أبرز الشخصيات التي تجلت فيها النزعة الصوفية بشكل عملي وروحي، حيث انعكست مبادئ التصوف بوضوح في سلوكه اليومي وتعاملاته مع الناس، وكانت الزهد والتقوى سمتين بارزتين في حياته، ليس بوصفهما شعارات، بل كأساس لمنهج متكامل في النظر إلى الذات والعالم.

لقد ظهر زهد الأمير عبد القادر في تعامله مع المال والسلطة، إذ لم يكن متعلقًا بزخارف الدنيا رغم كونه حاكمًا ومجاهدًا ومفكرًا، بل كان يرى في المال وسيلة لخدمة الدين والوطنلا غاية يسعى إليها،

<sup>1</sup> شارل هنري تشرشل، مرجع سبق ذكره، ص 39-40.

وقد ورد في إحدى رسائله قوله: "لقد نفضتُ يدي من حطام الدنيا، ورضيت بما قسمه الله لي، وليس لي في السلطان إلا ما يُرضي الله ويدفع الظلم عن المسلمين".<sup>1</sup>

كما أن تقوى الأمير عبد القادر ظهرت في التزامه الصارم بالفرائض والسنن وحرصه على أداء الصلاة في وقتها، حتى في ساحة المعركة، بل وكان يأمر جنوده بأن لا يتهاونوا في أداء العبادات مهما كانت الظروف، وهذا ما أكده أحد مراسلي صحيفة فرنسية خلال وجوده في الأسر، حيث كتب: "لم أر رجلاً يؤدي صلاته في السجن بذلك الخشوع والثبات كما يفعل الأمير عبد القادر وكأنَّ السجن صار له محراباً للعبادة".<sup>2</sup>

ومن تجليات الزهد أيضاً أن الأمير كان يرفض المبالغة في الملابس والمأكل، ويعيش عيشة بسيطة سواء في السلم أو الحرب، بل وكان يقتسم طعامه مع جنوده وفقراء شعبه دون تمييز، وكان يرى أن التقشف سبيل لتقوية الروح وكبح جماح النفس، وقد ورد في أقواله: "من لم يضبط شهوته، لم يقدر أن يضبط غيره، فابدأ بنفسك يا عبد القادر!".<sup>3</sup>

وقد أثنى العديد من المتصوفة والمفكرين على سلوكه الروحي، حيث اعتبروه نموذجاً حياً للمجاهد العارف بالله، الذي لم تغره الدنيا رغم ما عُرض عليه من إجراءات بعد أسره، فقد رفض الحكم باسمه من طرف

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، الأمير عبد القادر: أعماله الكاملة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص 213.

<sup>2</sup> شارل هنري تشرشل، مرجع سبق ذكره، ص 174.

<sup>3</sup> ممدوح الزوي، معجم الصوفية، مرجع سبق ذكره ص 67.

الفرنسيين، متمسكاً بمبدئه في أن الطاعة لا تكون إلا لله، والخضوع لا يكون إلا للحق، مما يعكس أوج صور التقوى الصوفية.<sup>1</sup>

يتجلى التصوف في حياة الأمير عبد القادر كخيار وجودي عميق، لا كمظهر طارئ أو سلوك عابر، إذ عاش التصوف في جوهره قولاً وفعلاً.

### 2.3. دوره في نشر الفكر الصوفي :

لعب الأمير عبد القادر دوراً محورياً في نشر الفكر الصوفي، سواء من خلال كتاباته أو ممارساته أو علاقاته مع شيوخ الطرق الصوفية، فقد كان يرى في التصوف منهجاً لإصلاح النفس والمجتمع، وأداة فعالة لتوحيد الأمة الإسلامية في زمن التمزق والاستعمار، ومن أبرز مظاهر هذا الدور تأليفه لعدد من الكتب ذات الطابع الصوفي، وعلى رأسها كتابه الشهير المواقف الذي عالج فيه قضايا روحية وفكرية بأسلوب رمزي عميق مستنداً إلى تجاربه الروحية وممارساته في مجاهدة النفس، وقد ذكر في مقدمته أن هذه المواقف جاءت نتيجة "فيض واردات وتجليات ربانية".<sup>2</sup>

كما عمل الأمير على ربط الفكر الصوفي بالتربية الاجتماعية والأخلاقية، حيث لم ينظر إلى التصوف كحالة عزلة بل كمنهج لبناء الإنسان والمجتمع، وكان دائم التأكيد على أن الصوفي الحقيقي هو من

<sup>1</sup> محمد بن أبي شنب، الأمير عبد القادر حياته وأعماله، دار الأمة، ط3، الجزائر، 1995، ص 142.

<sup>2</sup> الأمير عبد القادر، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، تحقيق: عبد الكريم العلاوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006، ص 7.

يخدم الناس ويسعى إلى الخير العام، إذ قال: "التصوف الحق لا يعني ترك الدنيا، بل يعني إصلاحها بنور

الله".<sup>1</sup>

ومن جهة أخرى كان للأمير علاقات وطيدة بشيوخ الطرق الصوفية في المغرب والمشرق، مثل علاقته

بشيخه محمد الفاسي، وقد استفاد من هذه العلاقة في ترسيخ أبعاد التصوف العلمي والسلوكي في

أوساط أتباعه ومجتمعه، ونشرها من خلال الزوايا والتجمعات الصوفية التي أسسها أو دعمها، وهو ما

أكد عليه المؤرخ الفرنسي لويس ماسينيون بقوله: "لقد أعاد الأمير عبد القادر دمج الزوايا الصوفية في

النسيج الاجتماعي والسياسي كقوة روحية أخلاقية ضد الاستعمار".<sup>2</sup>

ومن بين الوسائل التي استخدمها في نشر التصوف كذلك مراسلاته العلمية والروحية مع العلماء

والمفكرين من مختلف بقاع العالم الإسلامي، حيث كان يبعث إليهم برسائل تتضمن تأملاته في قضايا

الوجود والإيمان، مثل رسائله إلى علماء الأزهر وإلى علماء الهند، مما جعل فكره يتجاوز الجغرافيا ليصبح

صوتاً صوفياً عالمياً يدعو إلى المحبة والسلام والتوحيد.<sup>3</sup>

ولم تقتصر جهوده على المسلمين فقط، بل عمل على نقل مبادئ التصوف من خلال الحوار بين

الأديان، خاصة أثناء إقامته في دمشق، حيث دافع عن المسيحيين في فتنة 1860، مستنداً إلى روح

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، مرجع سبق ذكره، ص 234.

<sup>2</sup> لويس ماسينيون، "الأم الحلاج"، دار غاليمار، ط3، باريس، 1957، ص 489.

<sup>3</sup> محمد بن أبي شنب، الأمير عبد القادر حياته وأعماله، دار الأمة، ط3، الجزائر، 1995، ص 171.

التصوف القائمة على الرحمة الشاملة، وهو ما جعله محل تقدير عالمي، حتى أن البابا أرسل له رسالة شكر، معتبراً أن سلوكه تجسيد عملي للمحبة الإلهية.<sup>1</sup>

يتبين أن الأمير عبد القادر لم يكن صوفيًا تقليديًا، بل مفكرًا مجددًا حمل التصوف إلى آفاق الإصلاح والبناء الروحي والاجتماعي.

---

<sup>1</sup> شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: المنصف شرف الدين، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2006، ص 209.

## الفصل الثاني: القيم الإنسانية في فكر وسلوك الأمير

- 1- مفاهيم الحرية والعدل في نظر الأمير
- 2- احترامه للتعددية الثقافية والدينية
- 3- مواقف الأمير في معاملة الأسرى والمستضعفين
- 4- علاقته مع غير المسلمين ودوره في حماية المسيحيين في دمشق

يُعد الأمير عبد القادر الجزائري أحد أبرز الرموز الإنسانية في التاريخ العربي والإسلامي الحديث، إذ لم يكن مجرد قائد مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، بل كان أيضًا مفكرًا وفيلسوفًا متشبعًا بالقيم الأخلاقية والروحية، مستنيرًا بتعاليم الإسلام السمحة، ومطلعًا على الثقافات الإنسانية الأخرى، مما جعله يجسد في فكره وسلوكه نموذجًا فريدًا للقيادة الأخلاقية. لقد تجاوز الأمير المفهوم الضيق للمقاومة العسكرية، ليؤسس لمشروع حضاري يقوم على احترام الإنسان كقيمة عليا، مهما اختلف دينه أو لغته أو ثقافته. فقد عُرف برحمته بعد الانتصار، وبتسامحه مع الأسرى، وبمحايته للمدنيين، كما سجل التاريخ موقفه النبيل في حماية المسيحيين من مذابح دمشق سنة 1860، وهو ما جعل منه رمزًا عالميًا للعدالة والسلام.

## 1- مفاهيم الحرية والعدل في نظر الأمير:

كان الأمير عبد القادر يؤمن بأن الحرية والعدل هما ركيزتان أساسيتان في بناء الفرد والمجتمع، ولم تكن هذه المفاهيم عنده شعارات مجردة بل تجسدت بوضوح في ممارساته السياسية والدينية والاجتماعية.

## الحرية :

كان الأمير عبد القادر يؤمن بأن الحرية هي جوهر الكرامة الإنسانية وأساس التوازن في المجتمع، وقد نشأ هذا المفهوم عنده من تربيته الدينية والفكرية العميقة، التي جمعت بين الفقه الإسلامي والتصوف، وبين الاطلاع على الفكر الفلسفي والسياسي المعاصر، فقد رأى أن الإنسان خلق حرًا، ولا يحق لأي قوة بشرية أن تصدر إرادته أو تفرض عليه معتقدًا أو نمط حياة معينًا، وتجلى هذا الاعتقاد في سلوكه اليومي وفي مواقفه السياسية، إذ كان ينادي بحرية الفرد في المعتقد والتفكير والتنقل<sup>1</sup>، ويعتبر أن احترام الآخر لا يتحقق إلا حين نضمن له حق الاختلاف، خلال فترات حكمه في الغرب الجزائري لم يُسجّل عنه أن قمع حرية رأي أو عاقب أحدًا لموقفه السياسي أو الديني، بل كانت مجالسه مفتوحة للنقاش والاختلاف، وكان يُصغي إلى من يخالفه الرأي بمنتهى الاحترام.<sup>2</sup>

وقد برز تمسكه بهذا المبدأ في مواقف عدة، أبرزها موقفه أثناء مجازر دمشق سنة 1860، حين خاطر بحياته لحماية المسيحيين من القتل، مؤمنًا بأن حرية الإنسان في حياته ومعتقداته لا يمكن المساس بها مهما كانت الظروف، كما صرّح في أحد خطاباتاته: "إن الحرية لا تعني الفوضى، بل هي التزام بالمسؤولية،

<sup>1</sup> محمد سعيد الزين، الأمير عبد القادر كما رآه الغرب، دار القلم، دمشق، 1994م، ص 123.

<sup>2</sup> نفسه، ص 125.

وحقّ يجب أن يصبان كما تُصان الأنفس".<sup>1</sup> ولم تكن الحرية عنده مقتصرة على الجانب الفردي، بل اعتبرها شرطاً لنهضة الأمة، إذ لا يمكن لشعب مستعبد أن ينتج ثقافة حرة أو يحقق استقلالاً حقيقياً. لقد رأى الأمير عبد القادر في مقاومة الاحتلال دفاعاً عن الكرامة الإنسانية لا مجرد صراع ديني، فالحرية عنده مبدأً روحي ينبع من صميم العقيدة.

### العدل :

فقد شكل في فكر الأمير عبد القادر حجر الزاوية في بناء الدولة والمجتمع، كان يرى أن العدل ليس فقط فضيلة أخلاقية بل هو ضرورة اجتماعية وسياسية تمثل التوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الحاكم والمحكوم،<sup>2</sup> وقد تربى على هذا المبدأ في بيئة صوفية وفقهية تعتبر "العدل أساس الملك"<sup>3</sup>، واستوحاه من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، حيث كانت السلطة أداة لتحقيق الحق لا وسيلة للاستبداد، ولذلك عندما أسّس إمارته في الغرب الجزائري، حرص على إقامة قضاء مستقل، ووضع قوانين مستمدة من الشريعة ومقاصدها، تضمن الإنصاف لكل أفراد المجتمع على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم.

كان الأمير يتدخل شخصياً في المظالم ويشرف على حلّ النزاعات بين القبائل، واضعاً معيار العدل فوق كل اعتبارات القرب أو النسب، وفي إحدى رسائله إلى شيوخ القبائل قال: "إن الله أمر بالعدل،

<sup>1</sup> برونو إتيان، عبد القادر، نبي السلام، تر: فريد الزاهي، منشورات الزمن، الرباط، 2007م، ص 45.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 91.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 102.

ولن يبارك في حكم لا يقوم عليه".<sup>1</sup> وتجلى هذا المبدأ أيضاً في تعامله مع الأسرى الفرنسيين، فقد رفض الانتقام منهم، بل عاملهم بالرفق والرحمة، ووفّر لهم الطعام والدواء، مع أنه في موقع القوة، مؤمناً بأن الظلم لا يُبرر حتى ضد المعتدين.

إن العدل عند الأمير لم يكن مجرد وسيلة لضبط الأمن، بل كان قاعدة أخلاقية ينهض عليها الوجود السياسي والاجتماعي، ولذا كان يقول إن الأمة التي يشيع فيها الظلم مصيرها التفكك والاندثار، أما العدل فهو وحده من يجمع الأفراد حول القيم العليا ويوطد الوحدة الوطنية.<sup>2</sup>

ومن هنا ندرك أن الأمير عبد القادر تجاوز في مفهومه للعدل النظرة التقليدية، ليجعله مبدأ شاملاً ينظّم علاقة الإنسان بنفسه وبالآخر وبالذولة، ويصون الحقوق ويحمي الحريات.

## 2-احترامه للتعددية الثقافية والدينية:

يُعدّ الأمير عبد القادر نموذجاً فريداً في التاريخ الإسلامي والعالمي لاحترامه العميق للتعددية الدينية والثقافية، فقد جسّد القيم الإسلامية الحقيقية في التسامح والعدل خلال فترات السلم وأوقات الشدة، وكان موقفه البطولي في حماية المسيحيين بدمشق سنة 1860 خير شاهد على ذلك، حيث تصدى للفتنة الطائفية التي كادت تؤدي بحياة الآلاف<sup>3</sup>، ففتح بيته ومنازل رجاله للمسيحيين الفارين من المجازر، وطلب من جيرانه إيوائهم، بل وخرج بنفسه ينادي في شوارع دمشق لإنقاذهم، قائلاً: "أيها المسيحيون،

<sup>1</sup> علي محمد الصلابي، الأمير عبد القادر الجزائري: رجل دولة ومقاوم، دار ابن كثير، بيروت، 2010م، ص 98.

<sup>2</sup> برونو إتيان، المرجع السابق، ص 62.

<sup>3</sup> عمار بن تومي، عبد القادر الجزائري، منشورات الشهاب، ط2، الجزائر، 2011م، ص 134.

تعالوا لا تخشوا منا، إنا رجال عبد القادر"<sup>1</sup>، وقد ساهم بذلك في إنقاذ أكثر من خمسة عشر ألف شخص، وهو موقف أكسبه تقدير العالم أجمع. كما أبدى احترامه العميق للحرية الدينية أثناء وجوده في فرنسا، حين زار كنيسة المادلين وقال للقس المرافق له: "كنت أظن أنكم بلا دين، لكنني كنت مخطئًا، لقد تعلمت من تجربتي"<sup>2</sup>، وقد كان ذلك تعبيرًا صادقًا عن تحوُّله في النظرة إلى الآخر المختلف، نتيجة لتفاعله الإنساني والحضاري مع الشعوب والأديان.

### التعددية الثقافية:

أولى الأمير عبد القادر أهمية كبرى للتعددية الثقافية، فكان يؤمن بأن التقدم الإنساني لا يتحقق إلا من خلال الاعتراف بالآخر، واحترام ثقافته، والاستفادة من معارفه دون أن يعني ذلك الذوبان في ثقافته أو التخلي عن الهوية الذاتية، لم يكن الأمير أسيرًا للحدود الثقافية الضيقة، بل كان يرى في تنوع الثقافات ثراءً للإنسانية، ووسيلةً لفهم أعمق للعالم، وقد ترسخت هذه القناعة لديه نتيجة تجاربه السياسية والروحية، واحتكاكه بشعوب وأمم مختلفة خلال فترات نفيه وسفروه، سواء في الشرق أو الغرب، فقد وجد في الثقافة الغربية عناصر إيجابية تستحق التقدير، كالاتجاه في العلوم والتنظيم المدني، كما وجد في الثقافة الشرقية روحانية عميقة وقيمًا أخلاقية عالية، وكان يعتقد أن الجمع بين مزايا الثقافات المختلفة يمكن أن يخلق نموذجًا حضاريًا أكثر اتزانًا.

<sup>1</sup> نفسه، ص 134.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الأمير عبد القادر: رجل الإسلام والموقف الإنساني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، ص 71.

### الانفتاح على الثقافة الغربية:

برز احترام الأمير عبد القادر للتعددية الثقافية في مواقفه أثناء إقامته في فرنسا بعد انتهاء المقاومة، إذ استغل فرصة وجوده في باريس للتعرف عن قرب على ثقافتهم، فزار المكتبات والمؤسسات العلمية، وأعجب بالتقدم العلمي والإداري<sup>1</sup>، كما أظهر احترامًا عميقًا لقيم الحرية الفكرية وحرية التعبير، لم تكن نظرتهم للغرب مشوبة بالعداء الأيديولوجي، بل بنظرة نقدية بناءة، تعترف بالمنجزات وتنتقد النقائص. وقد عبّر عن هذا في خطابه ومراسلاته، حيث أشار إلى أن الغرب يتفوق من الناحية المادية والتنظيمية، لكنه يحتاج إلى روحانية الشرق لتكتمل إنسانيته، وهو بذلك كان يسعى إلى بناء جسر حضاري بين الشرق والغرب.

### تشجيع التفاعل الثقافي دون فقدان الهوية:

كان الأمير يرفض فكرة الصدام الحضاري، ويدعو بدلاً من ذلك إلى "التفاعل الحضاري"، الذي يعني أن تتبادل الأمم معارفها وخبراتها وقيمها في مناخ من الاحترام المتبادل، مع الحفاظ على خصوصية كل أمة وهويتها الثقافية، فقد شدد في رسائله إلى العلماء والمثقفين الجزائريين على ضرورة الانفتاح على المعارف الإنسانية المتنوعة، سواء كانت من الشرق أو الغرب، لكنه في الوقت ذاته، دعا إلى التمسك بجذور الهوية الوطنية والدينية والثقافية، وعدم الانبهار الأعمى بأي ثقافة مهما بلغت<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الجليل التميمي، الأمير عبد القادر من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي، منشورات جامعة منوبة، تونس، 1987م، ص 38.

<sup>2</sup> شكيب أرسلان، الأمير عبد القادر الجزائري، مطبعة المنار، القاهرة، 1935، ص 98-110.

وهكذا نجح الأمير في وضع تصور متوازن للتعددية الثقافية، يقوم على الأخذ الواعي والعطاء المستنير، ويشكل في ذاته أحد المداخل الحديثة لما يسمى اليوم بـ "الحوار بين الحضارات".

### التعددية الدينية:

ساهم الدين الإسلامي والطرق الصوفية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر الميلادي و خصوصا فترة مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري و تحضيره للقتال ضد المحتل، وقد لعبت الزوايا والكتاتيب دورا مهما يتمثل في التعاليم الدينية والإنسانية والقومية و الوطنية خاصة في تفسير علوم القرآن و الحديث والفقهاء؛ وقد كان علماء هذه الزوايا يجتمعون فيها مع طلابهم ويلقون عليهم الخطابات و يتحاورون فيما بينهم من اجل ردع العدو المستبد الظالم إضافة إلى تعليمهم أساسيات الدين الحنيف و كيفية التعامل مع الغير. ومن هنا يظهر الدور الروحي و الاجتماعي و التربوي التوعوي و حتى الإنساني في فكر هؤلاء الشيوخ و العلماء، منهم الأمير عبد القادر الجزائري و مقومات فكره الديني.

تميّز الأمير عبد القادر الجزائري بصفات وأخلاق فاضلة كان لها الفضل في اتباع الطرق الصحيحة أثناء فترة تولّيه الزعامة ضد فرنسا، فقد ترعرع منذ صغره في المساجد والزوايا وقراءة الكتب المتعلقة بالمذاهب الصوفية، و"أدرك أن عنصر اللحمة الوحيد القادر على تكوين الأمة هو الدين. وبالرغم من أنه كان

ينتمي إلى طريقة صوفية (القادرية) فإنه لم يعمل بوصفه قادرياً ولم يسعَ ليفرض طريقته على الآخرين. كان يعمل باسم الإسلام وكانت طريقته الجديدة هي (الجهاد).<sup>1</sup>

"وإن الدرجة التي بلغ بها الزعامة في العالم لم تُنلَ اعتباراً، وإنما توقفت على فضائل حُلقية مستمدة من روح الإسلام، ومن روح تقاليد وعادات وقيم المجتمع الجزائري"<sup>2</sup>، وكان في كل مرة يخوض فيها معركة ضد فرنسا يقوم بتذكير جيشه العسكري بأخلاقيات المحارب المسلم التي يجب أن تلازمه طوال فترة الحرب "فقد اشترط الأمير على جيشه ألا يقتل الصبيان والنساء والضعفاء وأهل الصنائع والمطيعين، وكذا القسيسين والرهبان، بل ينبغي أن تُسدَّ لهم الحاجة بإعطائهم ما يكفيهم وعشيرتهم من اللباس والمعاش، كما لا يجوز القتل لأخذ أموال العدو، ولا يجوز القتل غضباً أو غيظاً"<sup>3</sup>، وهكذا "وبفضل إيمانه القوي انضمت إليه قبائل كثيرة بدون أن يطلق رصاصة واحدة لإخضاعهم، بل كانت بلاغته وحجته كافيتين ليفهم الناس أهدافه في تحقيق الوحدة ومحاربة العدو"<sup>4</sup>.

وقد تمسك الأمير بتعاليم الشريعة الإسلامية تمسك العارفين، وقد ساعده إيمانه السوي في الثبات في شتى الأمور الدنيوية، ووظفها أحسن توظيف في كتاباته، "فهو يؤمن أن الخالق قد أودع في تعاليمه من المبادئ ما يتطابق وجوهر العقل، لذلك لا مباينة بين ما تقرره الشريعة وبين ما يختاره العقل السوي،

<sup>1</sup> محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي (المجلد 1)، دار الطباعة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، 1969م، ص 227.

<sup>2</sup> ودان بوغوفالة، الامير عبد القادر عبقرية في الزمان و المكان، (مكتبة الرشاد للطباعة و النشر، المحرر)، الجزائر: 1987م، ص 80.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 142.

<sup>4</sup> محمد الامير، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر و اخبار الجزائر. دار الكتب العلمية، بيروت\_لبنان، 1971م، ص 16.

وليس للعارف إلا أن يُحسن إدراك تلك الصلة القائمة بين الحقيقة والشريعة، ليخلص إلى الإيمان والإقرار بالكمال للخالق<sup>1</sup>.

وفي هذا الصدد يشرح معنى الآية (مرج البحرين) فيقول عنها: "فالبحران الشريعة والحقيقة، والبرزخ بينهما العارف، فلا تبغي الشريعة على الحقيقة، ولا الحقيقة على الشريعة، فهو دائماً بين ضدين ومشاهدة نقيضين، ينفي ويثبت، وينفي عين ما أثبت، لا يستقرّ به قرار، ولا تطمئنّ به دار، متحرّك ساكن، راحل قاطن، فهو كالطائر يطير من غصن إلى غصن، والذي طار إليه هو الذي طار عنه، يشاهد الشريعة بقوله: (اعلموا فسيري الله عملكم)، ويشاهد الحقيقة بقوله: (لا يقدرّون على شيءٍ مما كسبوا)"<sup>2</sup>.

ثم يقول عن القرآن: "فالقرآن دواء العقائد الفاسدة والأخلاق الرديئة الكاسدة، وهو النور الذي به تُبصر الأشياء كما هي حقاً أو باطلاً، وهو بعينه للذين لا يؤمنون وقر"<sup>3</sup>، ويضيف: "إن النجاة والسعادة كلّ السعادة، وأساس كل خير وعطاء وزيادة، هي في اتباع الشرع في كل ما ورد وصدور، والتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ص في المنشط والمكروه والعسر واليسر"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سليمان عشراقي، الأمير عبد القادر المفكر مساجلات في قضايا اللغة و المعرفة وفقه الخطاب القراني ( المجلد 2). دار الغرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2004م، ص 21.

<sup>2</sup> رونو اتبين، عبد القادر الجزائري " المهندس ميشيل خوري"، دار الفارابي للنشر و التوزيع، بيروت\_لبنان، 1997م، ص 148.

<sup>3</sup> نفسه، ص 803.

<sup>4</sup> نفسه، ص 807.

والقرآن الكريم يحننا على تكريم الإنسان عامة، وألا نُنقص من شأنه، وأن الإنسان الأبيض متساوٍ مع الأسود، وأن الله ميّز الإنسان بالعقل والتفكير والتدبّر، "وقد اشتهر الأمير بين الناس بنزعتة الإسلامية، واهتمامه بالقرآن والسنة والتصوف السني الرشيد على نهج الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي أثنى عليه علماء السلف من أمثال ابن تيمية وابن القيم وغيرهم كثير"<sup>1</sup>.

ثم إن الأمير لم ينقطع عن أمر التعبّد والتقرب من الله تعالى في كل الأوقات، بل أضاف إلى ذلك عملاً أخلاقياً ودينياً خدمةً للدين الإسلامي، هو نشاط استنساخ الكتب والمصاحف الدينية ونشرها لمختلف مساجد الوطن التي زارها وعمل بها، ويقول حول اهتمامه بالطرق الصوفية: "كنت مغرماً بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكانت أثناء المطالعة أعر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة"<sup>2</sup>.

يتضح أن التصوف لم يكن في حياة الأمير عبد القادر مجرد عبادة أو انسحاب، بل كان مصدر قوته الروحية، وصموده الأخلاقي، ومبدأ إنساني سام جعله يترفع عن الحقد، ويهب حياته لخدمة السلام والكرامة البشرية.

<sup>1</sup> علي بن محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني و مجاهد اسلامي. بيروت\_لبنان: دار المعرفة، 1969م، ص 90.

<sup>2</sup> برونو اتين، عبد القادر الجزائري، مرجع سبق ذكره، ص 58.

## 3- مواقف الأمير في معاملة الأسرى والمستضعفين:

تظهر روح الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر من خلال جهاده وحبه للجزائر ودفاعه عن حقوق الإنسان بطريقة شرعية، خاصة معاملاته مع الأسرى في معاركه المستمرة والطويلة، حيث إنه طلب كاهناً فرنسياً من أجل تسليتهم هناك والتحدث إليهم وقبول طلباتهم الشخصية. وفي سنة 1277هـ / 1860م، وقعت الحادثة الشهيرة التي سمع بها كل العالم، وهي حادثة الصراع بين المسلمين والمسيحيين، التي راح ضحيتها الكثير، "فشهدت هذه السنة مآثرة رائعة في تاريخ التسامح وتعايش الديانات"، إذ عادت إلى سطح الأحداث شخصية الأمير عبد القادر إلى حد اقتراح بعض الشخصيات الأوروبية الأمير عبد القادر إمبراطوراً للعرب، وهذا بعد إطفائه لنار الفتنة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة 1860، إذ قام بإيواء قرابة 15.000 نسمة من النصارى، كان من بينهم نائب القنصل الفرنسي، وقناصلة إنجلترا، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية الذي أصيب بجروح، وقنصلا اليونان وروسيا. وأكثر من ذلك، فقد خصص الأمير عبد القادر مبلغاً مالياً قدره خمسة قروش لكل شخص يحمل أي أسير حي، وبهذا السلوك يكون الأمير عبد القادر قد عبّر عن تمسكه بالقيم الإنسانية، واحترامه للغير دون ميز عرقي أو ديني<sup>1</sup>.

وبهذه الأخلاق القيمة والنبيلة، يكون الأمير قد سجل موقفاً إنسانياً كبيراً بحمايته للنصارى في الشام من ذلك العنف والدمار. "كما وقد طلب الأمير من المسلمين والمسيحيين الإصغاء إليه، والحال أن

<sup>1</sup> بوغوفالة، المرجع السابق، ص 72.

نماذج الحوار التي قام بها، وإنسانيته التي عبّر عنها على مستوى الموقف والكتابة، تقتضي استدعاء فكره بهدف درء الكثير من التطاحنات المفتعلة"<sup>1</sup>.

وقد أقبل أمراء الدول الخارجية على تقديم الهدايا والأوسمة والشهادات والأسلحة والاعترافات الجميلة نظير ما قدمه الأمير عبد القادر من مساعدة للنصارى، منهم ما قدمته الملكة فيكتوريا ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا: بندقية ذهبية، أما الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث الذي قام بإخراجه من السجن، فقد قدم له سيفًا ووسامًا يحمل صورة الأمير في الوجه الأول، إضافة إلى خطاب كتابي في الوجه الثاني، وغيرهم من الهدايا التي تعبر عن درجة العرفان والتبجيل لما فعله الأمير من أجل النصارى.

ومن مظاهر تسامح الأمير عبد القادر مع أعدائه، نجد قول الجنرال دوماس في هذا الصدد، يقول: "إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه في عزه. إنما ما يزال، كما عُرف عنه، يسمو إلى أعلى الدرجات. إنك ستجده معتدلاً بسيطاً جذاباً متواضعاً ثابتاً لا يشكو أبداً، معتذراً لأعدائه حتى أولئك الذين ما زال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيراً ولا يسمح أبداً أن يُذكروا بسوء في حضرته. ورغم أنه قد يشكو عن حق من المسلمين أو المسيحيين فإنهم سواء يجدون منه الصفح.."<sup>2</sup>. فنلاحظ من خلال شهادة الجنرال دوماس أنه كان يحب ويحترم الأمير ويشيد بخصاله وصفاته الخلقية التي شب عليها منذ صباه. ثم "إن خطابات الأمير الإنسانية كانت أخلاقية بامتياز، فالأمير لم يتكلم عن الإنسانية بخطابات رنانة وبيانات بليغة، وإنما أقر القول بالفعل، بداية من توليه الإمارة التي عُرضت عليه عرضاً، وصولاً إلى حله

<sup>1</sup> نفسه ، ص 152.

<sup>2</sup> شارل هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 257-258.

لمعضلات عويصة، خصوصًا ما تعلق بتلك الفتنة التي كان يمكن أن تؤدي إلى قتل وتشريد آلاف المسيحيين"<sup>1</sup>.

ثم يضيف قائلاً فيما يخص اختلافهم مع بعض: "آه لو كانوا قد استمعوا، آه لو وجدوا لي ذلك الراغب في معرفة الطريق... لو استمع إلي المسلمون والمسيحيون لكنت قد قضيت على تناحرهم، ولجعلت منهم إخوة في الخارج والداخل"<sup>2</sup>.

وفي موضع آخر، وخصوصًا أثناء رحلة وفد فرنسي من أجل مقابلة الأمير في أحد أقاليمه، شهد له الفرنسيون بحسن أخلاقه ومبادئه الحميدة حتى مع العدو، حيث قام بيرروجير في نهاية رحلته، وخاصة عند قيامه بمحادثة الوداع مع الأمير، بطلب منه وهو أن يسمح له بالسفر نحو القبلة (الجنوب)، أي بين الأطلس الصغير والصحراء الذي يشكل قطعة طويلة من الأرض؛ وبعد أن قام بيرروجير بعرض أسباب الطلب المقنعة، وافق الأمير على طلبه، يقول بيرروجير في هذا الصدد: "لقد وافق الأمير على كل ما طلبته بطريقة ودية للغاية، وقد قال لي: (لا أعتقد أنك ستقوم بهذه الرحلة الآن، نظرًا لسوء الأحوال الجوية، ولكن تعال إلي في الربيع في المدينة، ولا تفكر في الحصان ولا في المال، وسترى كيف يقوم العربي بكرم الضيافة)، ولقد كان الأمير في هذه الأثناء شديد الانبساط، وقد طلب منه أيضًا الدكتور بوديشون، وهو أحد مرافقيننا، الترخيص له بالسفر داخل البلاد، فأعطاه الرخصة بكل رضى

<sup>1</sup> بوغوفالة، المرجع السابق، ص 149.

<sup>2</sup> اتيين، المرجع السابق، ص 16.

وتكرم...<sup>1</sup>. يبين هذا النص مدى ثقافة ووعي الأمير عبد القادر السياسية والأخلاقية، وقدرته على محاورة الآخر بكل سلاسة وتعقل، بعيداً عن العصبية والغضب.

وقد تألم الأمير عبد القادر كثيراً عند سماعه بخبر مقتل الأسرى الفرنسيين الذين أُسروا في معركتي الغزوات وعين تموشنت، والذين تجاوز عددهم مئة أسير، وذلك في غيابه. وبعد عودته من السفر، قام بإطلاق سراح عشرة من الضباط الفرنسيين، وأرسل معهم رسالة إلى ملكهم جاء فيها:

"لقد شاع في غيابي أن الفرنسيين عازمون على تحرير أسراهم بالقوة من أيدي العرب، ثم انتشر بين الناس أن سلطان مراكش يعتزم إنقاذهم من يد خليفتنا رغماً عنه، فكان هذا من سوء سلوك نوابكم، مما تسبب في ما وقع للأسرى من غير إذن منا ولا علم لنا، والآن، وقد أطلقنا سراح عشرة ضباط مع الرئيس كورلي دي كوفري، فهم يعلمون بما أجريناه."<sup>2</sup> وتم تسليمهم في أكتوبر سنة 1846م.

لقد كانت لغة الحوار لدى الأمير عبد القادر ذات أهمية كبيرة أثناء المفاوضات، خاصة في ما يتعلق باللغات الأجنبية التي لم يكن يتقنها، وكان من واجبه إرسال خطابات ومراسلات مختلفة إلى الأجانب يتحدث فيها عن الأمور السياسية والعسكرية والاجتماعية.

<sup>1</sup> ادريان بيرروجير، أدريان بيرروجير، مذكرة تاريخية وتحليلية حول الأمير عبد القادر، باريس، المطبعة الوطنية، 1859م، ص 109.  
<sup>2</sup> الصلاحي، مرجع سبق ذكره، ص 255.

ومنذ توليه الحكم، سعى لإقامة اتفاقيات مع الاحتلال الفرنسي لتجنب الحرب والدمار قدر الإمكان، ليصبح فيما بعد رمزًا من رموز التفاهم والتعاون، حيث "انتزع منهم عهد الشرف لإقامة علاقة دائمة قائمة على التفاهم والتعاون المبني على أسس من الحُسن والأخلاق".<sup>1</sup>

ومن أقواله حين كان يخاطب جنوده ويدعوهم إلى تنفيذ خططه الاستراتيجية:

"لا تحاربوا الفرنسيين في جمعٍ كبير، بل اقتصروا على مضايقتهم، ومطاردة أجنحتهم، وقطع اتصالاتهم، والانقضاض على معداتهم ووسائل نقلهم، والتراجع الخادع، ونصب الكمائن، والهجوم المفاجئ لإشاعة الارتباك والحيرة والدهشة في صفوفهم".<sup>2</sup>

فقد كان الأمير ذكيًا وفطنًا، يعرف كيف يتصرف أثناء الحرب.

#### 4- علاقته مع غير المسلمين ودوره في حماية المسيحيين في دمشق:

تميّز الأمير عبد القادر الجزائري بسلوك استثنائي يعكس عمق إنسانيته واتساع أفقه الحضاري والديني، لا سيما في تعامله مع غير المسلمين، وخاصة أثناء إقامته في دمشق بعد توقفه عن المقاومة المسلحة، ففي عام 1861 شهدت دمشق اضطرابات طائفية خطيرة بين المسلمين والمسيحيين، وصلت إلى حدّ المجازر وسفك الدماء، لكن الأمير برز في هذا السياق كرمز للنجدة والرحمة والعدل، فقام بمجهودات جبارة لحماية المسيحيين من القتل والتنكيل.

<sup>1</sup>عشراتي، مرجع سبق ذكره، ص 58.

<sup>2</sup>محمد الأمير، مرجع سبق ذكره، ص 19.

انطلقت شرارة الفتنة بدمشق يوم الاثنين 26 ذي الحجة 1277هـ / 9 يوليو 1861م، والحقيقة أن هذه الفتنة كانت امتدادًا لما وقع في جبل لبنان، الذي يسكنه طوائف من المسلمين والنصارى والدروز، مع أكثرية نصرانية كانت تسود بينهم المودة، إلا أنها تحولت إلى عداوة في عهد إبراهيم باشا المصري، حين تغلّب على سوريا، وطلب من الدروز جنّدًا لاستعمالهم في أموره الخاصة.<sup>1</sup>

ولا يتسع المقام هنا للحديث المفصل عن تلك المرحلة، لكن المهم أن الشرارة انتقلت إلى دمشق حين تحركت أحقاد المسلمين ضد جيرانهم النصارى، وتذكروا ما نالهم من اعتداءات حنا بك البحري وطائفته في عهد المصريين، وما جرى بجبل لبنان. فكثرت اللغظ والقييل والقال، وخشي النصارى على أنفسهم، فرفعوا أمرهم إلى أحمد باشا، والي دمشق ومشير المعسكر الخامس، وطلبوا منه الحماية، فأرسل فرقة عسكرية إلى حيّهم للمحافظة عليهم.

وتطورت الأمور حين ألقى أحد أفراد الشرطة القبض على صبي مسلم كان يلعب بصورة صليب، وسلّمه إلى السلطات التي أمرت بتعزيزه علنًا، فأهين في الأسواق. وعندما رآه أخوه في تلك الحالة، غاب عن وعيه وألقى بنفسه من دكانه عليه، فهبّ الجيران لمساعدته وأخذوا الصبي من يد الشرطي، وبدأت الفوضى تعمّ المكان، وارتفعت الأصوات وتكاثر الصراخ، وبدأ البعض ينادون للجهاد ويتقاطرون إلى حيّ النصارى بشكل أعمى، دون تقدير للعواقب، فمدّوا أيديهم إلى أهله بالقتل، وإلى أموالهم بالنهب، وإلى ديارهم بالحرق.

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 91-92.

ولما علم الأمير عبد القادر بما يجري، أدرك أن العاقبة ستكون وخيمة، وأن تكرار ما جرى في لبنان قد يُستغل ذريعة من قِبَل فرنسا لتدمير سوريا.<sup>1</sup>

كان الأمير مدرِّكاً تمام الإدراك لخطورة التصادم بين طائفتين دينيتين مختلفتين، ويعلم أن أثر هذا التصادم سينتشر كالنار في الهشيم، نتيجة الحمية والعصبية الدينية التي تجعل من الانتصار للطائفة وكأنه نصر للدين، وقد سبق ابن خلدون في مقدمته أن قال: "الدعوة الدينية لا تتم من غير عصبية"، و"كل أمر تُحمَل عليه الكافة لا بد له من عصبية"، وفي الحديث الصحيح: "ما بُعث نبي إلا في منعة من قومه".<sup>2</sup> وكان الأمير يدرك أيضاً أن هذا الوضع سيجلب الدمار للمنطقة من طرف فرنسا التي كانت تتربص بها الدوائر.

### دور الأمير ومنطلقاته في إخماد الفتنة:

كان الأمير عبد القادر عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان من أوائل الداعين إلى التهدئة، مطالباً بأن يكون الجميع رحماً معتدلين<sup>3</sup>، وألا يندفعوا وراء التعصب الديني. في البداية، لم يُصدّق ما يُقال عن تفاقم الوضع بين الطائفتين، لكن الجزائريين المقيمين في دمشق<sup>4</sup> كانوا يوافونه يومياً بأخبار مفرعة عن المدينة، حتى أن بعضهم تأثر بتلك الدعوات وشارك فيها.

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 93.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2001م، ص 199.

<sup>3</sup> هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 281-282.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 282.

فبادر الأمير إلى الاتصال بالعلماء، راجياً منهم استخدام نفوذهم بين الناس لتهدئة النفوس وتفادي الكارثة، وكتب رسائل عاجلة إلى علماء حمص وحماة في السياق ذاته<sup>1</sup>.

وكان المسلمون والمسيحيون يعيشون جنباً إلى جنب في لبنان وبلاد الشام تحت حكومة مدنية لا دينية، ولم يكن المسيحيون فيها أهل ذمة، ومع ذلك فقد ترك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام رسالة تمثل دستوراً محكماً تجاه أهل الكتاب، تدعو إلى حمايتهم، واحترام كنائسهم وأديرتهم، وعدم تحميلهم ما لا يطيقون، وأن يدافع عنهم المسلمون، ولا يخالف أحدٌ من الأمة هذا العهد إلى يوم القيامة<sup>2</sup>.

وعندما رأى الأمير أن معاول الفتنة قد بدأت تهدم الاستقرار، وأن الفرق الدرزية تتقدم نحو دمشق، راسل شيوخهم البارزين في جبل لبنان وسهول وجبال حوران، مبتدئاً رسائله بالدعاء لهم بالسعادة والهناء، مظهرًا حسن نيته. وقد أوضح لهم أن دعوته إلى الحكمة ليست نابعة من ضعف أو ضغينة، بل من باب درء الفتنة والعفو عند المقدرة، كما تنص عليه القيم الإسلامية والمسيحية معاً.

وشدّد في رسالته على أن الإخاء بين المسلمين والمسيحيين كان هو السائد قبل اندلاع الفتنة، وأنهم جميعاً كانوا يجتمعون في حب الأرض واللغة (أي الشعور القومي)، وأن تصرفات طائشة قد تؤدي إلى القطيعة بينهم وبين المسلمين من جهة، وبينهم وبين الحكومة من جهة أخرى، ودعاهم إلى الرجوع إلى الحكمة، مبيّناً أن الحكيم هو من يقرأ عواقب الأمور قبل الإقدام عليها.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 282.

<sup>2</sup> علي حسن الخربوطلي، الاسلام وأهل الذمة- مجموعة التعريف بالإسلام الصادرة عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة، عدد 49، 1969م، ص 39.

لقد كان الأمير عبد القادر متشبعًا بالقيم الصوفية التي تدعو إلى التسامح والعفة واحترام الآخرين.

ولم يترك الأمير بابًا إلا ولجه، فاجتمع بوجهاء وأعيان دمشق مخاطبًا إياهم بأن الأديان، وفي مقدمتها الدين الإسلامي، أجلُّ وأقدس من أن تكون خنجر جهالة، أو معول طيش، أو صرخات ندالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم، قائلاً: «أحذركم أن تجعلوا للشيطان الجهل فيكم نصيبًا، أو أن يكون على نفوسكم سبيل».<sup>1</sup>

يتجلى في موقف الأمير عبد القادر حكمة القائد وبصيرته الأخلاقية، إذ واجه الفوضى بالحلم والعقل لا بالعنف، فكان خطابه للناس نابغًا من ضمير حيٍّ يؤمن بالحوار والإصلاح لا بالانتقام والانقسام. كان الرد على خطابه محيياً للأمال، إذ ردَّ عليه المتظاهرون بقولهم: «ماذا؟ أنت الذي كنت أعظم ذبّاح للمسيحيين، تأتي لتمنعنا من ذبحهم هنا في مدينتنا؟ ابتعد عنّا».

فردَّ الأمير محيياً لهم: «إذا كنتُ قد ذبحت المسيحيين، فإن ذلك كان طبقًا لتعاليم شريعتنا، وهم المسيحيون الذين أعلنوا عليَّ الحرب، وكانوا مدججين بالسلاح ضد ديننا».<sup>2</sup>

هنا إشارة صريحة من الأمير إلى أن الدين الإسلامي لا يقوم على التعدي على الغير، سواء من أبناء الملة الواحدة أو الملل الأخرى، إلا في حالة تعدٍّ من الطرف الآخر، أي في حالة الدفاع عن النفس، فقد قاتل الأمير الفرنسيين لا باعتبارهم مسيحيين، وإنما باعتبارهم غزاةً لأرضه وأرض شعبه، محاولين التعدي على مقدساته ومقومات شخصيته من لغة ودين وتاريخ وأرض، وهذا ما يتجلى في مخاطبته

<sup>1</sup> محمد بن عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 42.

<sup>2</sup> هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 283.

لأهل جرجرة في محاولته جرّهم إلى صفه لمواجهة الاستعمار، بقوله: «وإذا لم تساعدوني، فإنهم سيسترقونكم ويدوسون حرمتكم، فاشكروا الله إذن على أنني عدوهم الألد، استيقظوا يا أهل جرجرة، وانتبهوا من غفلتكم، وثقوا أن ليس في قلبي سوى الرغبة في سعادة وصلاح ورفاهية جميع المسلمين».<sup>1</sup>

وفي رسالته الموجهة إلى الملك الفرنسي لويس فيليب، أشار إلى أن التعدي على المسلمين من قبل المسيحيين، بما في ذلك الهجوم الفرنسي على الجزائر، لم يعد كما كان في إطار "الواجب المقدس" الذي بدأ منذ ظهور الإسلام، بل جاء نتيجة لحيادهم ونسيانهم لدينهم ومبادئه، فأصبحوا ينظرون إليه كمجرد وسيلة للتوسع الدنيوي.<sup>2</sup>

لقد أباح الإسلام الجهاد في مثل هذا الوضع، لكنه لم يشرعه في غيره، فقد فتح الرسول صلى الله عليه وسلم، بمعاهدته مع اليهود، فتحًا جديدًا في السياسة الدينية، فأقرت حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة الوطن، وحرمة الحياة، وحرمة النفس، وحرمة المال، ولم يحدث مثل هذا قبلها بين أهل الأديان، بل كان هناك اضطهاد وظلم وتفرقة في الحقوق وتفاوت بين الأفراد والطبقات.<sup>3</sup>

كان الأمير يؤمن بوجود التعايش بين الملل وحرية العقيدة، وهذا ما نستشفه في كثير من أقواله وأفعاله، وخاصة خلال تواجده بفرنسا بعد وضعه لسلاح المقاومة، ومن ذلك زيارة عدد من الضباط الذين كانوا سابقًا أسرى عنده، وقد جاؤوا يشكرونه على اللطف والاهتمام اللذين وجدوهما منه خلال أسرهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص 151.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 172.

<sup>3</sup> علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص 52.

<sup>4</sup> هنري شرشل، مرجع سبق ذكره، ص 269.

وحين زار البنايات العامة في باريس، وعند دخوله كنيسة المادلين، قال للقسيس الذي كان مرافقاً له: «حينما بدأت مقاومتي، كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال، فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطي»، وبعد ذلك طلب أن يُؤخذ إلى محل إقامة صديقه القديم "دوبوش"، أسقف مدينة الجزائر، قائلاً: «بعد أن خصصت زيارتي الأولى للكنيسة، يجب أن أخصص زيارتي التالية لأفضل عبادة»<sup>1</sup>.

ورغم ما حذر منه الأمير، إلا أن الكارثة وقعت، لوجود أطراف كانت تعمل على إذكاء نار الفتنة، ومنهم الباشا الذي ادّعى أنه سيحمي المسيحيين بوضع فرقة من الجنود الأتراك في حبيهم، لكنه أعطاهم الأوامر بالانسحاب، فتخلوا عن أسلحتهم، وباشروا النهب<sup>2</sup>.

وعلق الأمير على ذلك قائلاً: «هذا ما كنا نحاذره ونحذر الناس منه، قد وقع، إننا لله وإننا إليه راجعون». وخلال ثلاث ساعات، أصبح الحي المسيحي عبارة عن ورقة تشتعل في مهب الريح، ومع ذلك، فقد هبَّ الأمير يجمع ما يلقاه من أهل بلاد المغرب، ويرسلهم إلى الأحياء المسيحية لرد المهاجمين ودعوتهم إلى التعقل والترث، ولما رأى بأن كلماته لم تلقَ آذاناً صاغية، انتقل إلى حلٍّ أجدى، ففتح بيته للفارين من النصارى، وأمر جيرانه بإخلاء منازلهم لتكون مأوى لهؤلاء الفارين المنكوبين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص 270.

<sup>2</sup>هنري شرشل،المرجع السابق، ص 283.

<sup>3</sup>عبد الرزاق بن السبع،الامير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، باتنة سنة 2000م، ص 58.

نعم، لقد التف حوله حوالي الألف من الجزائريين يحرسون الشوارع الملتهبة، ويذهبون من منزل إلى آخر وهم ينادون: «أيها المسيحيون، تعالوا، لا تخشوا منّا، إننا رجال عبد القادر، وإننا هنا لإنقاذكم، تعالوا، تعالوا».<sup>1</sup>

وطيلة أيام المحنة الأربعة عشر، انشغل الأمير باتخاذ ما توفر لديه من الوسائل والسبل لإخمادها، وقاسم أصحاب المحنة همومهم، إذ لم يدخل بيته طيلة أيامها، وكان جالسًا في دهليزه لا يهجع من الليل إلا قليلاً.

وبانجلاء ظلمة المحنة، كان الأمير ومن معه قد ساعدوا في إنقاذ خمسة عشر ألفًا من أتباع الكنيسة الشرقية من الموت، بل مما هو أسوأ من الموت، وهنا، لم يكن أمام الجميع، مسلمين ونصارى، إلا أن يقفوا له مقتنعين، إجلالًا وإكبارًا لجهوده ومساعيه ونبل أخلاقه وعلوّ نفسه، لأنه بقدر ما كانت النتائج رائعة، كانت التضحيات عظيمة، بما دفعه الجزائريون من رفقاء الأمير، حتى وصلت إلى حد بذل الأرواح فداءً للنصارى.

إن هذا الموقف النبيل عزز مكانة الأمير عالميًا، وأكسبه احترام خصومه قبل أصدقائه، فقد عبّر عدد من الضباط الفرنسيين الذين سبق أن كانوا أسرى عنده عن شكرهم له لما وجدوه من لطف وإنسانية أثناء الأسر، كما حظي أثناء وجوده في باريس باستقبال حافل، حيث زار الكنائس وأبدى إعجابه

<sup>1</sup> تشرشل، المرجع السابق، ص 283.

بالحرية الدينية، قائلاً لأحد القساوسة: "كنت أظن أنكم بلا دين، لكنني كنت مخطئاً، لقد تعلمت من تجربتي."<sup>1</sup>

هكذا تجلت في سيرة الأمير عبد القادر صورة نموذجية للقائد المسلم الذي يترجم تعاليم دينه إلى مواقف عملية، ويؤمن بكرامة الإنسان وحرية العقيدة، ويقف سدّاً منيعاً أمام نار الفتنة والطائفية، مما جعله رمزاً عالمياً للتسامح والعدل.

<sup>1</sup>فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص 120.

# الفصل الثالث: العلاقة بين المعراج الصوفي والقيم الانسانية في شخصية الأمير

- 1-تأثير التصوف على نضرة الأمير عبد القادر للقيم الإنسانية
- 2-دور التصوف في تعزيز قيم التسامح و العدل لدى الامير
- 3 تمازج البعد الديني و الوطني في مشروع الأمير الجهادي والإنساني

يعدّ التصوف الإسلامي أحد أعمق التجليات الروحية في الفكر الإسلامي، إذ ينزع إلى تجاوز المظاهر السطحية للوجود، ساعياً نحو المطلق عبر مسالك التزكية والتطهير والسمو بالنفس، ويأتي "المعراج الصوفي" كتجربة روحية مركزية في هذا السياق، لما يمثله من رمز للسفر الباطني من عالم المادة إلى عالم الروح، ومن عبودية الذات إلى حرية التوحيد، ومن ظلام النفس إلى نور الحقيقة، وقد انعكس هذا البعد بشكل جلي في عدد من الشخصيات الأدبية التي جسدت هذا المسار، ومن أبرزها شخصية "الأمير" التي شكلت ملتقى غنياً بين البعد الصوفي والهم الإنساني.

### 1- تأثير التصوف على نظرة الأمير عبد القادر للقيم الإنسانية:

تأثر الأمير عبد القادر بشكل كبير بالتصوف، حيث شكل هذا التأثير رؤيته للقيم الإنسانية، خاصةً في مجال التسامح والرحمة، مما جعله يتبنى سلوكاً يتسم بالإنسانية والمثالية في قيادته للمقاومة وفي التعامل مع الآخرين.

تتجلى هذه القيم الإنسانية فيما يلي:

#### 1- التسامح والرحمة:

تجدّرت قيم التسامح والرحمة في فكر الأمير عبد القادر نتيجة لتأثره العميق بالتصوف، خاصة بتعاليم الشيخ محيي الدين بن عربي، اعتبر الأمير أن الإنسانية جامعة لكل البشر بغض النظر عن اختلافاتهم الدينية أو الثقافية، وقد تجلّى هذا في مواقفه العملية، كحمايته للمسيحيين في دمشق عام 1860،

حيث أنفذ الآلاف منهم من مذابح طائفية، مما أكسبه احترامًا عالميًا،<sup>1</sup> هذا الموقف يعكس فهمه العميق لوحدة الوجود والرحمة الإلهية التي تشمل الجميع.

## 2- النزعة الإنسانية:

تجلت النزعة الإنسانية في سلوك الأمير عبد القادر من خلال تعامله الراقي مع أعدائه، حيث كان يرفض الانتقام ويحرص على تحقيق السلام والعدل، هذا السلوك ينبع من فهمه الصوفي العميق الذي يركز على تزكية النفس والتحلي بالفضائل. في كتابه "المواقف"، يعبر الأمير عن هذه النزعة بقوله: "الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"،<sup>2</sup> مما يدل على احترامه العميق للإنسان ككائن مكرم.

## 3- العدالة والإنصاف:

كان الأمير عبد القادر يؤمن بأن العدالة والإنصاف هما أساس الحكم الرشيد والمجتمع المتوازن، في فترة حكمه سعى إلى إقامة نظام قضائي عادل يستند إلى الشريعة الإسلامية ومبادئ التصوف التي تحث على الإنصاف، وقد رفض المحاباة والظلم، مؤكدًا أن الحاكم يجب أن يكون قدوة في العدل،<sup>3</sup> هذا التوجه يعكس تأثير التصوف في تعزيز القيم الأخلاقية في الحكم والإدارة.

<sup>1</sup> نابي بوعليم، "التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري"، مجلة المثقف، 2021م، ص 63.

<sup>2</sup> الأمير عبد القادر، "المواقف"، مرجع سبق ذكره، ص. 45.

<sup>3</sup> بوعرفة عبد القادر، "التجربة الصوفية والنزعة الإنسانية في كتابات الأمير عبد القادر"، المجلس الأعلى للغة العربية، 2021م، ص 71.

## 4-التعاون والتآزر:

آمن الأمير عبد القادر بأهمية التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع، مستنداً إلى المفاهيم الصوفية التي تشجع على الوحدة والتكافل، في مقاومته للاستعمار الفرنسي دعا إلى توحيد الصفوف والتعاون بين القبائل المختلفة، مؤكداً أن "النصر لا يتحقق إلا بالتكاتف"<sup>1</sup>. هذا النهج يعكس فهمة العميق لأهمية الجماعة في تحقيق الأهداف الكبرى.

## 5-العفو والصفح:

تميز الأمير عبد القادر بقدرته على العفو والصفح عن المسيئين، مستلهماً ذلك من تعاليم التصوف التي تحث على التسامح وتركية النفس، حتى في أحلك الظروف كان يختار الصفح على الانتقام، معتبراً أن "العفو قوة وليس ضعفاً"<sup>2</sup>، هذا السلوك يعكس نضجه الروحي وفهمه العميق لمعاني الرحمة والتسامح.

## 6-التواضع:

<sup>1</sup>عبد الحق بلمختار، "الأطراف المعارضة لمقاومة الأمير عبد القادر وآثارها 1833-1847 م"، جامعة ابن خلدون تيارت، 2023م، ص 31.

<sup>2</sup>شريفة معاش، "مكانة التصوف في فكر الأمير عبد القادر"، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2019، ص 81.

رغم مكانته كقائد ومفكر اتسم الأمير عبد القادر بالتواضع، معتبراً نفسه خادماً لشعبه وليس متسلطاً عليهم، هذا التواضع ينبع من فهمه الصوفي الذي يرى في التواضع طريقاً للسمو الروحي، في كتاباته يعبر عن هذا بقوله: "من تواضع لله رفعه"<sup>1</sup>، مما يدل على إدراكه العميق لقيمة التواضع في حياة الإنسان.

#### 7- النزاهة:

كانت النزاهة من الصفات البارزة في شخصية الأمير عبد القادر، حيث رفض الرشوة والغش، وحرص على الشفافية في إدارة شؤون الدولة، هذا السلوك يعكس تأثيره بالتعاليم الصوفية التي تحث على الصدق والأمانة، في مقاومته للاستعمار "كان يرفض أي مساومات تتعارض مع مبادئه، مؤكداً أن النزاهة هي أساس النصر الحقيقي"<sup>2</sup>.

#### 8- الرحمة بالحيوان:

تجلى حس الرحمة في تعامل الأمير عبد القادر مع الحيوانات، حيث كان يوصي بالاعتناء بها وعدم إيذائها، مستنداً إلى التعاليم الصوفية التي ترى في كل مخلوق تجلياً من تجليات الخالق<sup>3</sup>. هذا السلوك يعكس فهمه العميق لوحدة الوجود والرحمة الشاملة التي تشمل جميع الكائنات.

كان قلبه يشع بالعتفو والإنسانية ومكارم الأخلاق، حيث تجلّت هذه القيم في سلوكياته.

<sup>1</sup> الأمير عبد القادر، "المواقف"، مرجع سبق ذكره، ص. 112.

<sup>2</sup> عبد الحق بلمختار، "الأطراف المعارضة لمقاومة الأمير عبد القادر وآثارها 1833-1847 م"، جامعة ابن خلدون تيارت، 2023ك، ص 19.

<sup>3</sup> الأمير عبد القادر، "المواقف"، مرجع سبق ذكره، ص 89.

يروى عنه أنه ذات يوم تقدم رجل مسكين أرسل لقتل الأمير عبد القادر، غير أنه تجمّد في مكانه عند رؤيته جالسًا في مجلسٍ شاخٍ، عزيزٍ، هاديٍّ وبسيط. شعر الرجل بالندم، فأخذ يكسر خنجره، ثم ارتقى عند قدمي الأمير قائلاً: "كنت أتأهب لقتلك، غير أن مظهرك جعلني أعزل، لقد تلمّستُ حول رأسك هالة الرسول".<sup>1</sup>

نفض الأمير عبد القادر بوقار ورباطة جأش، ثم وضع يده على جبين الرجل وقال: "دخلت هاهنا قاتلاً، والله الذي يرضى عن التوبة، قد قيّض أن تخرج وقد أمسيت رجلاً أميناً".<sup>2</sup>

كان التصوف له أثر كبير في رؤية الأمير عبد القادر للقيم الإنسانية، مما جعله شخصية فريدة من نوعها في تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي.

## 2- دور التصوف في تعزيز قيم التسامح و العدل لدى الأمير:

لقد كانت الشريعة الإسلامية منهجًا لغرس السلم والعدل والتسامح الديني، تشبّع به قلب وعقل الأمير عبد القادر، مما جعله قدوة لغيره في بثّ قيم السلم والتسامح التي دعا إليها الإسلام، حيث يقول: "كثيراً ما يُورد مبتوراً تكذيب البعض (الرسول) وتصديق البعض قصوراً، ولو أصغى المسلمون والنصارى لرفع الخلاف بينهم، ولصاروا إخواناً ظاهراً وباطناً"<sup>3</sup>، فاختلف العقائد في نظره لا يمنعهم من أن يكونوا إخوة. ويقول أيضاً: "إن ردّ المسيحي على اليهود هو الردّ نفسه الذي وُجّه للمسيحي، فما قاله المسيح

<sup>1</sup> محمد شريف السجلى، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد حبيّاتن، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، دون طبعة، ص 54.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، الجزائر: دار سناد، ط1، ص 103.

هو نفسه ما قاله الرسول: ما جئت لأبطل الإنجيل والتوراة، بل جئت لأكملهما، ففي باطن الإنجيل والتوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة، وفي الإنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة، وأنا جئت بالسياسة كليهما، حيث القصاص، وفي القصاص حياة، وجئت بالعفو، وأن تعفوا أقرب للتقوى، (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، هو إشارة إلى السياسة الباطنة الخاصة. وهذا دليل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، لأن النبوة حكمة، والحكمة إما عملية أو علمية أو جامعة بينهما...<sup>1</sup>.

#### أولاً: التصوف كمنظومة أخلاقية شكّلت وعي الأمير عبد القادر

لقد كان التصوف لدى الأمير عبد القادر عاملاً مركزياً في تشكيل شخصيته الروحية والفكرية، إذ لم يكن مجرد ممارسة فردية زهدية، بل رؤية شاملة للعالم تنبني على تهذيب النفس والسمو بها، وعلى حب الخير للغير، فقد تربى الأمير منذ صغره في بيئة علمية دينية تتبنى التصوف السني القائم على الكتاب والسنة، المتأثر بالفكر الغزالي وابن عربي، حيث كان يرى في التصوف وسيلة لتقويم النفس لا للهروب من المجتمع، وقد انعكست هذه المبادئ في ممارساته القيادية، حيث كان حريصاً على إشاعة ثقافة العدل والمساواة في صفوف جيشه ومواطنيه، متمسكاً بالحق والرحمة في آنٍ معاً، وتُظهر رسائله وخطبه ومواقفه أنه كان يعيش القيم الصوفية واقعاً لا تنظيراً، فقد كتب في إحدى رسائله: "ما التصوف إلا حسن الخلق مع الله والخلق"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 102-103.

<sup>2</sup> عبد الله حمادي، التصوف في الجزائر من الزهد إلى الجهاد، دار الوعي، الجزائر، 2016، ص 127

تبرز في هذا الموقف سموّ الروح الصوفية التي شكلت شخصية الأمير عبد القادر، حيث ترجم قيم التسامح والمحبة عملياً، فأثبت أن النبل في الحرب لا يقاس بالغبلة، بل بإنسانية المنتصر وعدله.

### ثانياً: التصوف كمصدر لثقافة التسامح والعدل في ممارسة السلطة

لم يكن الأمير عبد القادر زاهداً منقطعاً عن الواقع، بل وظف تجربته الصوفية لترسيخ دولة قائمة على العدل وتقبّل الآخر متجاوزاً الانغلاق الطائفي والمذهبي، فقد تعامل مع اليهود والمسيحيين في المناطق التي حكمها بمنتهى التسامح والاحترام، مُستلهمًا من التصوف جوهر الدين لا مظهره، وكان يرى أن "الاختلاف في العقائد لا ينبغي أن يكون سبباً للعداء، وإنما مدخلاً للفهم والتعاون"، وقد أورد في رسالته للملكة فيكتوريا ما يعكس هذا التوجه بقوله: "لو أصغى المسلمون والنصارى بعقل وهدوء، لانتهى الخلاف بينهم وصاروا إخوة ظاهراً وباطناً".<sup>1</sup>

لقد جسّد الأمير مبدأ "العفو عند المقدرة" في تعامله حتى مع من حاولوا قتله، كما في حادثة الرجل الذي اعترف بنيته قتله فتجاوزه الأمير وقال له: "دخلت قاتلاً وخرجت أميناً"<sup>2</sup>، وهو سلوك مستمد من نبع التصوف الذي يجعل من الرحمة والعفو أساساً في الحكم والسلوك.

ثالثاً: التسامح الديني والسياسي كآلية لمقاومة الانقسام الطائفي وتأسيس العدالة الاجتماعية في

ظل التعدد

<sup>1</sup> محمد بن عبد الكريم، القيم الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر، دار الهدى، بيروت، 2015، ص. 84.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 84.

لقد تجاوز الأمير عبد القادر بفضل خلفيته الصوفية العميقة، الحدود الضيقة للهوية الطائفية أو العرقية، مؤمناً بأن العدالة لا يمكن أن تكتمل دون احترام الآخر، أياً كان دينه أو انتماءه الثقافي، وأن الحكم الرشيد هو الذي يسع الناس جميعاً على اختلاف عقائدهم، ولم يكن هذا الموقف مجرد تنظير، بل ظهر جلياً في ممارساته السياسية، إذ يُروى عنه أنه كان يعين غير المسلمين في وظائف إدارية وعسكرية، إذا توفرت فيهم الكفاءة والنزاهة، واضعاً مصلحة الأمة فوق كل اعتبار مذهبي أو ديني.

لقد آمن بأن التصوف الحقيقي يُعلي من قيمة الإنسان بوصفه مخلوقاً مكرماً، ولذلك كان يسعى لبناء دولة يسودها السلم الأهلي والتضامن، لا التنافر والصراع، معتبراً أن الخلاف في الدين لا ينبغي أن يتحول إلى صراع بين البشر، وتشير الباحثة فاطمة الزهراء بوخريص إلى أن الأمير عبد القادر "نجح في تحويل التصوف إلى مشروع سياسي أخلاقي، يجعل من الرحمة والعقلانية أدوات للحكم والمقاومة".<sup>1</sup>

ويضيف الدكتور نجيب العوفي أن الأمير "جسد في ممارسته للسلطة نموذج الفقيه الصوفي الذي لا يرى في الحكم مغنماً بل تكليفاً، وينبني على المراقبة الروحية الدائمة للذات".<sup>2</sup>

وبهذا المعنى فقد مثل الأمير عبد القادر إحدى التجارب النادرة التي دجت بين الروحانية والفكر السياسي التحرري، ومقدماً نموذجاً مبكراً للدولة الأخلاقية القائمة على القيم الصوفية.

### 3 تمازج البعد الديني و الوطني في مشروع الأمير الجهادي والإنساني:

<sup>1</sup>التصوف والمجال السياسي في المغرب الإسلامي: من الزوايا إلى الدولة الحديثة، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2018، ص 233.

<sup>2</sup>د. نجيب العوفي، في الذات والهوية: قراءات في الفكر المغربي الحديث، منشورات الزمن، المغرب، 2012، ص. 190.

لقد شكّل الأمير عبد القادر حالة استثنائية في تاريخ الحركات التحررية العربية والإسلامية، إذ استطاع أن يمزج بين البعد الديني الذي تشبع به من خلال تربيته الصوفية والعلمية، والبعد الوطني الذي تجلّى في مشروعه المقاوم للاستعمار الفرنسي، فبعيداً عن النزعة التقليدية للجهاد القائم فقط على رد العدوان، نجح الأمير في إضفاء طابع شمولي على مشروعه، حيث لم يكن الجهاد لديه مجرد قتال ضد المحتل، بل كان مشروعاً حضارياً متكاملًا ينهض على قيم العدل والحرية والكرامة الإنسانية، سواء للمسلمين أو لغير المسلمين، وهذا ما جعله يحظى باحترام الخصوم والحلفاء على حد سواء.

### 1- البعد العملي للتصوف عند الأمير عبد القادر: بين السمو الروحي وخدمة الإنسان والمجتمع:

إذا كان المعنة الباطني للتصوف قائماً على مجاهدة النفس بالرياضة الشاقة، والاهتمام بالعمل والمعرفة، حتى يكون مصدر السلوك الخُلقي الخير، النابع من محبة الخالق، أي من محبة معرفته والتقرب إليه، غير أن تصوفه لم يكن مصدر انقطاع عن الدنيا وابتعاد عن الناس أو هروباً من مسؤولياته الاجتماعية، بل كان له تجلٍ وانعكاس ظهر في سلوكه وتعامله مع غيره، مما جعل الأعداء يشهدون له بالعدل والسمو الخُلقي.

حيث قال عنه ليون روش: "حين يصلي، هو صوفي، حين يقود، هو سلطان، حين يتكلم، حرا به، خطوط وجهه تضاء، فهو عندئذ عسكري، وحين يتحدث مع أصدقائه والمقرّبين منه، تظهر طبيته، صوفيته قائمة على الكتاب والسنة واهتمامه بتربية روحية ومنفتحة، بل إن له حتى ميلاً للدعابة".<sup>1</sup>

<sup>1</sup>عشرانسليمان، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق (ملحق بكتاب "عشر سنوات في أرض الإسلام"، ط. 1، 1022، للجاسوس ليون روش، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، ص 121، 130.

لم يقتصر تصوفه على الخلوة والعبادة فقط، بل كان يشجع على العمل وحبّه، كما كان يشجع على حفظ الكتب وقراءة المكتبة.

وقد عبّر عن ذلك بقوله في رسالة وجهها إلى المملكة الفرنسية: "أقنعي نيابة عن الملك، فبدلاً من أن

يبحث إلى البناء أمجاداً للحرب، يبعثهم لمساعدتي على إرساء قواعد حضارة أكون قد ساهمت فيها".<sup>1</sup>

اتسم تصوف الأمير بمبادئ أخلاقية سامية تجلّت في ممارسته لها في حياته، كما ندب بها الناشئة من بعده إلى أخذ العبرة والافتداء بسلوك الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي هذا يقول في كتابه المواقف:

"إن الله سبحانه وتعالى يرى ويبصر جميع الأشياء حال عدمها وحال إيجادها، وإذا كان الجسد في

المسجد والقلب في السوق، أو الجسد في أحد الأماكن الشريفة؛ مكة أو المدينة أو بيت المقدس، فمعين

أنه لا يُبالى به حتى يتوجّه إليه بالنظر الخالص والرؤية الخالصة، ليفيض عليه من خبراته وأنواع كرامته

وتجلياته، إذ الإنسان ما حصل له الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله وصورته، فإن الصورة في

الحائط أو الورق مثله، ولا بكبر جسمه، فإن الفيل أكبر منه، ولا بشجاعته، فإن الأسد أشجع منه،

فما كان له الشرف إلا بإنسانيته، وهي قلبه".<sup>2</sup>

## 2-تكامل البعد الديني والوطني في مشروع الأمير عبد القادر:

لقد كان البعد الديني في فكر الأمير منطلقاً لبناء وطن حر، وليس مجرد أداة لتعبئة الجماهير، إذ آمن

بأن تحرير الأرض لا ينفصل عن تحرير الإنسان من الجهل والطغيان، ولذلك أنشأ دولة ارتكزت على

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص 139.

<sup>2</sup>الأمير عبد القادر، "المواقف"، مرجع سبق ذكره، ص 79.

مؤسسات واضحة المعالم، تم فيها توزيع السلطة وفق منطق الشورى والمحاسبة، كما أولى أهمية كبرى لنشر التعليم وتنظيم القضاء، واعتماد مبدأ الكفاءة في التعيينات، ولم يكن يستند في مقاومته إلى الحماسة العاطفية، بل إلى فقه عميق يستوعب مقاصد الشريعة، ويوازن بين المصالح والمفاسد، ويُقدّر المآلات<sup>1</sup>، وهذا ما جعله يلجأ إلى الهدنة أو الصلح حين تقتضي الضرورة دون أن يتنازل عن مبدأ التحرر.

أما البعد الوطني فقد تمثل في إدراكه العميق لوحدة المجتمع الجزائري بكل مكوناته، فحرص على إشراك القبائل المختلفة، بغض النظر عن أصولها أو انتماءاتها في مشروع المقاومة مؤمناً أن الوطن ليس حكرًا على فئة دون أخرى، بل هو مسؤولية جماعية. وقد ظهر هذا جلياً في خطبه ورسائله إلى قادة القبائل، حيث كان يدعوهم إلى تجاوز الخلافات والانضواء تحت لواء الجهاد من أجل الحرية<sup>2</sup>، كما تميز خطابه الوطني بلغة جامعة، تخاطب الروح الإسلامية والضمير القومي في آن واحد.

لقد مثل اتجاهه نهضةً صوفية كان لها أثرٌ ببناء عن طريق القدوة، وشكّلت الإرهاصات الأولى للحركات الإصلاحية، حيث اتسمت شخصية الأمير عبد القادر بالالتزام بالعقيدة الإسلامية، والتي لم تقتصر فقط على إيمانه الديني الذي جعل منه رجلاً قوياً سامياً، بل كانت أيضاً منطلقاً سخياً خرج من كينونة نفسه باحثاً عن مجهولية الناس التي يحملها الفلاسفة، إذ جمع بين الفكر والعمل، والكلمة والفعل، في شكل كيان يشد بعضه بعضاً، مانحاً الروح صفاء البلور وشفافيته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>المنتصر عدنان، «الأمير عبد القادر في مذكرات العسكريين الفرنسيين في الجزائر، المصادر والتمثيلات»، روافد، جامعة سوسة، تونس، ع 15، 2010م، ص 123.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 124.

<sup>3</sup>محمد شريف السجلى، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، مرجع سبق ذكره، ص 63.

ويشير الباحث سليم شاكِر إلى أن "الأمير عبد القادر كان من أوائل من أدركوا أن البعد الوطني لا يناقض البعد الديني بل يتكامل معه، فأسس مشروعًا تحرريًا عابرًا للقبيلة والطائفة".<sup>1</sup>

بينما يرى المفكر المغربي طه عبد الرحمن أن الأمير "جعل من التصوف قاعدة لإنتاج فكر سياسي أخلاقي، ينهض على حب الوطن كجزء من محبة الله".<sup>2</sup>

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن تجربة الأمير لم تكن مجرد مقاومة مسلّحة، بل كانت بناءً متكاملًا لرؤية دينية ووطنية وإنسانية تجسدت في السلوك والممارسة.

### 3- البعد الديني كمصدر شرعية ودافع للمقاومة:

ارتكز الأمير عبد القادر منذ انطلاق مشروعه الجهادي على خلفية دينية قوية، متشعبة بتعاليم الإسلام ومناهج التصوف السني، فجعل من الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي فريضة شرعية، واعتبر الدفاع عن الوطن واجبًا دينيًا قبل أن يكون وطنيًا، فقد كان يرى أن المقاومة المسلحة لا تستمد مشروعيتها من مجرد الدفاع عن الأرض، بل من واجب شرعي لحماية الدين والعقيدة من الاستعمار المتغرس الذي هدد الهوية الإسلامية، ولهذا كان يدعو جنوده ومبايعيه إلى الجهاد، ويربط بين نُصرة الوطن ورضى الله، كما تجلّى في رسائله التي كانت تنص على ضرورة اتباع تعاليم الإسلام في الحرب والسلام، ويؤكد الباحث

<sup>1</sup> سليم شاكِر، رؤية الأمير عبد القادر لبناء الدولة الجزائرية الحديثة، دار الوعي، الجزائر، 2020، ص 88.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدّثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000، ص 211.

محمد الأمين بلغيث أن " البعد الديني عند الأمير لم يكن شكلياً بل وظيفياً، وظّفه لتعبئة الشعب وبناء وحدة وطنية عميقة حول المرجعية الإسلامية الجامعة".<sup>1</sup>

#### 4-الوطنية بوصفها تجلياً للفهم الديني الواعي:

لم تكن الوطنية عند الأمير عبد القادر شعوراً عاطفياً مؤقتاً أو انفعالاً غريزياً، بل كانت نابعة من وعي ديني عميق، حيث اعتبر الوطن أمانة في أعناق المؤمنين، يجب الدفاع عنه وصونه من كل عدوان، لقد اندمج البعد الوطني في مشروعه الجهادي مع البعد الديني، فقاد مقاومة منظمة، وأسس مؤسسات دولة قائمة على الشورى والعدل والمساواة، متأثراً في ذلك بتعاليم الشريعة الإسلامية، ولأن الدين عنده لم يكن منفصلاً عن الواقع، فإنه جسّد الوطنية في صورة مسؤولية شرعية تجاه الأرض والشعب، ما جعله رمزاً للوطنية الواعية لا الوطنية المنفعلة، وقد أشار المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله إلى هذا المعنى في قوله: "لقد جمع الأمير عبد القادر بين روح الدين وروح الوطنية، فكان جهاده نموذجاً لوحدة العقيدة والأرض، وجعل من مقاومته أول حركة وطنية واعية في العصر الحديث".<sup>2</sup>

يتّضح من خلال التحليل المركب للبعدين الديني والوطني في مشروع الأمير عبد القادر، أن المقاومة لم تكن مجرد رد فعل ظرفي على الاحتلال الفرنسي، بل كانت فعلاً نابغاً من رؤية شاملة تنطلق من العقيدة الإسلامية وتنتهي عند بناء دولة عادلة ومستقلة.

<sup>1</sup> محمد الأمين بلغيث، عبد القادر الجزائري: الزاوية، الدولة، الجهاد" (دار الحكمة، الجزائر، 2006، ص 87.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، \*الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 112.

### خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي سعينا من خلاله إلى تسليط الضوء على البعد الروحي والإنساني في شخصية الأمير عبد القادر، من خلال استكشاف العلاقة بين تجربته الصوفية وتجسيده للقيم الأخلاقية في سلوكه السياسي والجهادي، يمكن القول إن شخصية الأمير تتجاوز التصنيفات التقليدية التي تحصره في خانة الزعيم المقاوم فقط، إذ تبين لنا أنه كان رجل فكر وروح، ومرشدًا أخلاقيًا حمل على عاتقه مهمة الدفاع عن الإنسان قبل الأرض.

أظهرت الدراسة أن المعراج الصوفي في حياة الأمير عبد القادر لم يكن تجربة روحانية منعزلة، بل كان أساسًا لصياغة مشروع شامل يجمع بين الجهاد والعدل، بين المقاومة والرحمة، وبين الدفاع عن الوطن والارتقاء بالذات، كما أن الأمير لم يكن مجرد متصوف منطوٍ على ذاته، بل عاش التصوف بمعناه العملي، فجسد معاني الحرية، العدل، التسامح، والتعايش مع الآخر، حتى مع أعدائه، وهو ما تجلّى في مواقفه من الأسرى، وفي حمايته للأقليات، خاصة المسيحيين في دمشق سنة 1860م.

وقد خلصنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نذكر أبرزها:

- إن النشأة الدينية للأمير عبد القادر وتعليمه المبكر، إلى جانب تأثره العميق بالتصوف وشيوخه، لعبت دورًا محوريًا في تشكيل شخصيته المتوازنة بين الزهد الروحي والفعل السياسي.

- كانت التجربة الصوفية للأمير عبد القادر مدخلًا لفهمه الخاص للمعراج كرمز روحي للتدرج في المقامات، وهو ما انعكس في كتابه "المواقف" الذي يُعد مرآة لفكره الصوفي والفلسفي.

-جسّد الأمير القيم الإنسانية في حياته العملية، لا سيما في فترات الحرب والسلام، حيث اتسمت مواقفه بالعدل والرحمة، واحترام كرامة الإنسان بغضّ النظر عن الدين أو العرق.

-مثّلت شخصية الأمير عبد القادر نموذجًا نادرًا للتكامل بين الدين والوطنية، بين الجهاد والإنسانية، وهو ما يجعل تجربته مصدر إلهام في زمن التمزق القيمي الذي نعيشه اليوم.

-إن دراسة العلاقة بين المعراج الصوفي والقيم الإنسانية في سيرة الأمير تفتح أفقًا لفهم التصوف كقوة أخلاقية ببناء، لا كحالة انعزالية، وتسهم في تصحيح الصورة النمطية عن المتصوفة.

قائمة الملاحق:

الملحق (01): عبارة عن علم وختم الأمير عبد القادر

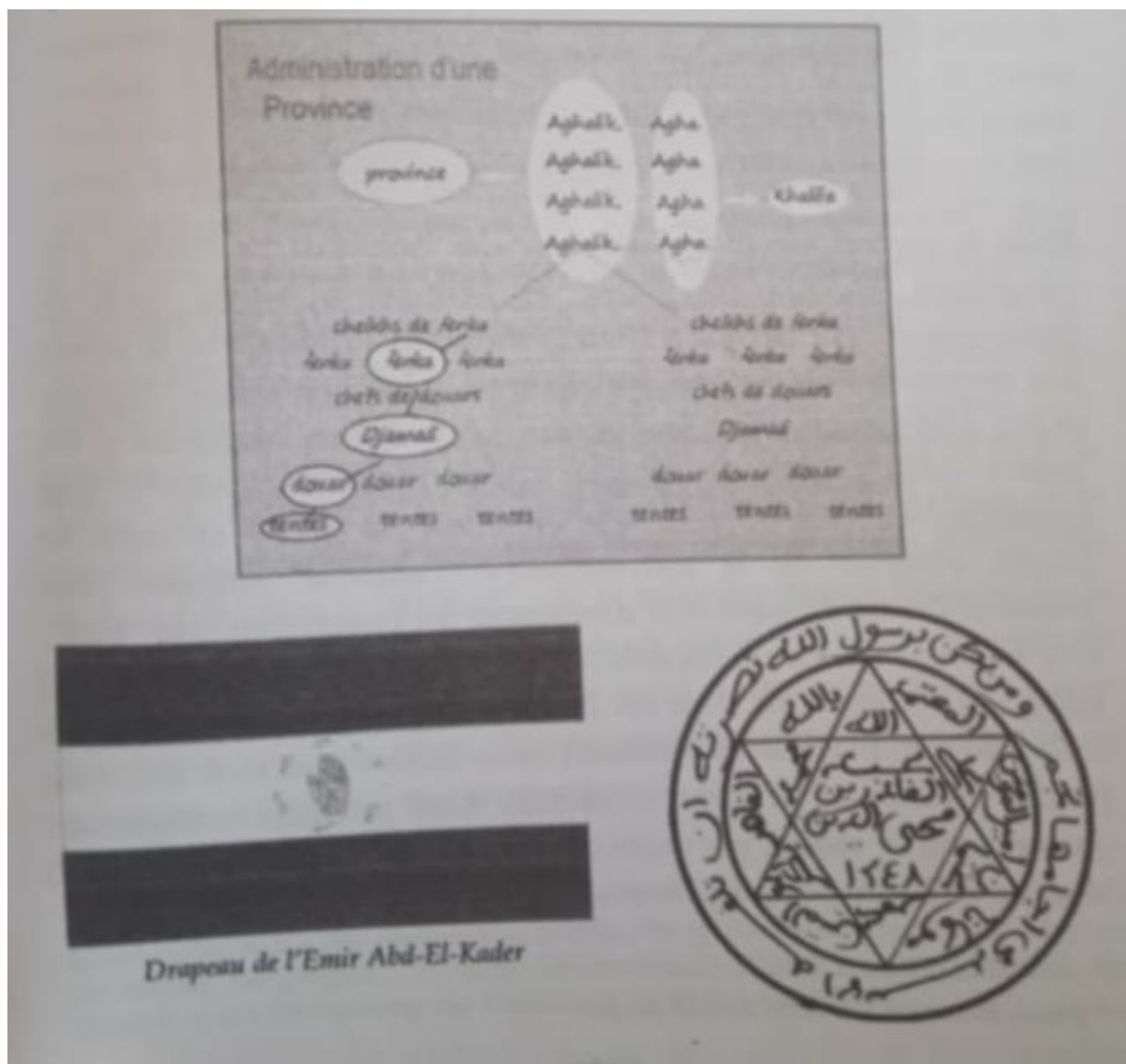
الملحق (02): عبارة عن صورة لجامع الأمير عبد القادر بمعسكر

ملحق (03): عبارة عن صورة الزاوية القيطنة حيث زاول الأمير دراسته

الملحق (04): عبارة عن صورة الأمير عبد القادر

ملاحق :

الملحق (01) عبارة عن علم وختم الأمير عبد القادر انظر:<sup>1</sup>



<sup>1</sup>Nour Eddine sahla. Mascara,Lacapitele de l'Histoire et lecoeur de l'Afrique,Algeria,2018,p131

الملحق (02) عبارة عن صورة تجماع الأمير عبد القادر بمعسكر انظر: <sup>1</sup>



---

<sup>1</sup>محفوظ قداش، الامير عبد القادر، سلسلة الفن و الثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ماي 1974م، ص 10.

الملحق (03) عبارة عن صورة الزاوية القيطنة حيث زاول الأمير دراسته انظر:<sup>1</sup>



---

<sup>1</sup>المرجع السابق، ص 21.

الملحق (04) عبارة عن صورة الأمير عبد القادر انظر: <sup>1</sup>



---

<sup>1</sup>محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954 تر محمد المعراجي منشورات ANEP صفحة 87



قائمة المصادر والمراجع:

I- المصادر

1) باللغة العربية:

- 1- إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2005.
- 2- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.
- 3- المواقف، الأمير عبد القادر، تحقيق: عبد الكريم العلاوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006.
- 4- المواقف الروحية والفيضات السبوحية، الأمير عبد القادر، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي الدمشقي البيبوني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 5- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، الأمير عبد القادر، منشورات دار النهضة العربية، دمشق، 1967.
- 6- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، الأمير عبد القادر، دار سناد، ط1، الجزائر.
- 7- الفتوحات المكية، ابن عربي، ج1، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1985.
- 8- الحكم العطائية، ابن عطاء الله، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2004.

9- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد صادق الرحمن مرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1428هـ - 2007.

10- محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، لبنان، 1987.

## II- المراجع

### 1) باللغة العربية:

1- الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، نور الهدى الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1429 هـ - 2008.

2- الأمير عبد القادر، يحيى بوعزيز، دار العربي للكتاب، تونس، 1983.

3- الأمير عبد القادر، سليمان عشراقي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.

4- الأمير عبد القادر الجزائري، شكيب أرسلان، مطبعة المنار، القاهرة، 1935.

5- الأمير عبد القادر الجزائري، إسماعيل العربي، وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

6- الأمير عبد القادر الجزائري، علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، بيروت، 2010.

7- الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، عبد القادر بن السبع، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000.

## قائمة المصادر والمراجع

- 8- الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، عبد الرزاق بن السبع، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، باتنة، 2000.
- 9- الأمير عبد القادر: رجل الإسلام والموقف الإنساني، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
- 10- الأمير عبد القادر: أعماله الكاملة، عبد الجليل التميمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.
- 11- الأمير عبد القادر من خلال وثائق الأرشيف الفرنسي، عبد الجليل التميمي، منشورات جامعة منوبة، تونس، 1987.
- 12- الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، محمد بويريج، منشورات دار القدس العربي، ط3، 2006.
- 13- الأمير عبد القادر، رائد الكفاح الجزائري، يحيى بوعزيز، دار العربي للكتاب، تونس، 1983.
- 14- الأطراف المعارضة لمقاومة الأمير عبد القادر وآثارها 1833-1847م، عبد الحق بلمختار، جامعة ابن خلدون تيارت، 2023.
- 15- التجربة الصوفية والنزعة الإنسانية في كتابات الأمير عبد القادر، بوعرفة عبد القادر، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021.
- 16- التصوف في الجزائر من الزهد إلى الجهاد، عبد الله حمادي، دار الوعي، الجزائر، 2016.

## قائمة المصادر والمراجع

- 17- تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، محمد خير فارس، المجلد 1، دار الطباعة للنشر والتوزيع، دمشق، 1969.
- 18- جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ناصر الدين سعيدوني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 19- سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، علي بن محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت، 1969.
- 20- سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحدائثة الغربية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000.
- 21- عبد القادر الجزائري: الزاوية، الدولة، الجهاد، الأمين بلغيث، دار الحكمة، الجزائر، 2006.
- 22- عبد القادر الجزائري: الزاوية، الدولة، الجهاد، محمد الأمين بلغيث، دار الحكمة، الجزائر، 2006.
- 23- عبد القادر الجزائري، عمار بن تومي، منشورات الشهاب، ط2، الجزائر، 2011.
- 24- عبد القادر، نبي السلام، برونو إتيان، ترجمة: فريد الزاهي، منشورات الزمن، الرباط، 2007.
- 25- فلسفة إنسانية بين الأصالة والتقليد، محمد حسين مهدي بخيت، عالم الكتب الحديث للنشر، الأردن، 2013.
- 26- في صحبة الأمير بن أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، أحمد درويش، منتدى سور الأذكىاء، 2000.

27-مكانة التصوف في فكر الأمير عبد القادر، شريفة معاش، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2019.

28-المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، أحمد كمال الجزائر، تحقيق: محمد زكي إبراهيم، دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ - 1997.

29-معجم الصوفية، ممدوح الزوي، دار الجيل، لبنان، ط1، 2004.

30-نخضة الأمة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، 1911.

(2)باللغة الأجنبية:

1. Abdelkader : Le Prophète de la Paix، Étienne Bruno, traduit par Farid Zahi, Éditions Le Tem's, Rabat, 2007.
2. Emir Abdelkader : Le Génie de la Résistance، Johann Carl Berndt, traduit par Dr. Abou El i » Doudou, Éditions Houma, Alger, 1992.

(3)الرسائل الجامعية :

1. مكانة التصوف في فكر الأمير عبد القادر، شريفة معاش، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي  
مرباح ورقلة، 2019.

4) المقالات :

1. "التجربة الصوفية والنزعة الإنسانية في كتابات الأمير عبد القادر"، بوعرفة عبد القادر، المجلس  
الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2021.
2. "الأطراف المعارضة لمقاومة الأمير عبد القادر وآثارها 1833-1847م"، عبد الحق بلمختار،  
جامعة ابن خلدون تيارت، 2023.
3. "التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري"، نابي بوعليم، مجلة المثقف،  
2021.
4. "الأمير عبد القادر في مذكرات العسكريين الفرنسيين في الجزائر، المصادر والتمثيلات"، المنتصر  
عدنان، روافد، جامعة سوسة، تونس، ع15، 2010.
5. "الأمير عبد القادر (حياته، أدبه، 1807-1883)"، خير الدين نوار، مجلة آمال، ع4،  
ج2، جويلية 1970، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.

5) الموسوعات والقواميس:

1. معجم الصوفية، ممدوح الزوي، دار الجيل، لبنان، ط1، 2004.
2. كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، دار النفائس، بيروت، ط2، 2007.
3. محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، لبنان، 1987.

(6)الوابوغرافيا (المواقع الإلكترونية):

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

<https://www.aljazeera.net>

<https://www.politics-dz.com>

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة ..... أ- د

**مدخل: الأمير عبد القادر ( حياته وشخصيته ) ..... 05**

1. نشأة الأمير عبد القادر ..... 06

2. تعليمه وتأثره بالتصوف وعلاقته بشيوخه ..... 08

1.2. تعليمه وتأثره بالتصوف: ..... 10

2.2. علاقته بشيوخه وأثر ذلك على شخصيته ..... 11

3. دوره في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي ..... 14

**الفصل الأول: البعد الصوفي في شخصية الأمير عبد القادر ..... 18**

1. التصوف وأبعاده في الفكر الإسلامي ..... 19

1.1. تعريف التصوف ..... 19

2.1. أبعاده في الفكر الإسلامي ..... 23

2- التصوف كمنهج في حياة الأمير ..... 24

25.....1.2. نظرة الأمير عبد القادر للتصوف

28.....3. تجليات البعد الصوفي في سلوك الأمير

28.....1.3. مظاهر الزهد والتقوى في حياته

30.....2.3. دوره في نشر الفكر الصوفي

## 32..... الفصل الثاني: القيم الإنسانية في فكر وسلوك الأمير

34.....1. مفاهيم الحرية والعدل في نظر الأمير

36.....2. احترامه للتعددية الثقافية والديني

43.....3. مواقف الأمير في معاملة الأسرى والمستضعفين

47.....4. علاقته مع غير المسلمين ودوره في حماية المسيحيين في دمشق

## 56..... الفصل الثالث: العلاقة بين المعراج الصوفي والقيم الانسانية في شخصية الأمير

57.....1- تأثير التصوف على نظرة الأمير عبد القادر للقيم الإنسانية

61.....2- دور التصوف في تعزيز قيم التسامح و العدل لدى الامير

64.....3 تمازج البعد الديني و الوطني في مشروع الأمير الجهادي والإنساني

70..... خاتمة

72..... قائمة الملاحق

## فهرس المحتويات

---

77.....	قائمة المصادر والمراجع
84.....	فهرس المحتويات
89.....	ملخص

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز البعد الصوفي والإنساني في شخصية الأمير عبد القادر من خلال تتبع نشأته الدينية، وتأثره بالتصوف، وتجسيده للقيم الأخلاقية في مواقفه وسلوكه. وقد بينت الدراسة كيف أن المعراج الصوفي كان أساساً لفهم الأمير للعدالة، والحرية، والتسامح، خاصة في تعامله مع الخصوم والأقليات، كما تبرز العلاقة الوثيقة بين تجربته الروحية ومشروعه الجهادي والوطني، وتُعد شخصية الأمير نموذجاً حياً لتكامل البعد الديني والإنساني في السياق المقاوم.

### الكلمات المفتاحية:

المعراج الصوفي، الأمير عبد القادر، الوطن، التصوف، العزلة، الإنسانية، البعد الروحي، الرسالة العالمية.

**Summary:**

This study aims to highlight the Sufi and humanistic dimensions in the personality of Emir Abdelkader by tracing his religious upbringing, his influence by Sufism, and his embodiment of moral values in his actions and behavior. The study shows how the Sufi ascension (Mi'rāj) formed the basis of the Emir's understanding of justice, freedom, and tolerance, particularly in his dealings with opponents and minorities. It also emphasizes the close relationship between his spiritual experience and his national and jihadist project. Emir Abdelkader's personality stands as a vivid example of the integration of religious and humanistic aspects within a context of resistance.

**Keywords :**

Sufi ascension, Emir Abdelkader, homeland, Sufism, isolation, humanity, spiritual dimension, universal message.